السيدة نرجس عليها السلام

مدرسة الأجيال



السيد مرتضى الحسيني الشيرازي

السيدة نرجس عليها السلام

مدرسة الأجيال

الطبعة الثالثة

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤ م

طبع هذا الكتاب بثواب السيدة الجليلة نرجس خاتون عليها السلام
والدة الإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه الشريف

منشورات

مؤسسة التقى الثقافية / النجف الأشرف

مطبعة النجف الأشرف . حي عدن

السيدة نرجس

عليها السلام

مدرسة الأجيال



آية الله السيد مرتضى الحسيني الشيرازي

بِسْمِ اللهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ

الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ

اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ

صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ

غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ

صدق الله العلي العظيم

كلمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

أحبته محبةً روحانية سامية، قبل أن تراه..

ورفرف قلبها كلما تردّد اسمه أمامها..

كانت المسافة بين القلبين رحلة ثلاثين يوماً بلياليها.

هي في بلاد الروم وهو في سرّمن رأى.

هي ابنة يوشع ابن قيصر ملك الروم، وهو ابن علي الهادي بن الجواد (عليهم السلام).

أبعد من الصدفة أن تلتقي هذه بهذا !!

وأن تتزوج أميرة الروم وحفيدة قيصر حامي حمى النصارى ابن الإمام الهادي (عليه السلام) حامي حمى الإسلام.

أبعد من الصدفة أن تتزوج نرجس في سامراء وهي التي تقاطر على باب قصرها الأمراء .

أبعد من الصدفة .. لكن في قدرة الله يتبدد المستحيل فكيف بالصدفة.

وتهوي القوانين والسنن لأنه هو الذي أوجدها للإنسان.

وهكذا تجري الحكمة الإلهية..

بذرة من أقاصي الأرض ..

وأخرى من أدنى الأرض.

وتلتقيان..

ثم يكون الغرس..

وما أعظمه من ثمر لا زال يعطي أُكُله حتى يومنا هذا، و حتى آخر يوم من حياة كرتنا الأرضية..

رأته مرة في منامها وكان عمرها بعمر الورود، ورأت نفسها كيف تدنو منه، وكيف وضع السيد المسيح (عليه السلام) يدها بيده بعد أن أتم زواجها وأسلمت ببركة رسول الإسلام (صلى الله عليه وآله وسلم).

حلم يراود كل فتاة تبحث عن فارس أحلامها، لكن رؤيا نرجس كانت تختلف عن رؤيا رفيقاتها الفتيات المراهقات اللواتي في سنها.

لم يكن حلمها رؤيا، بل كان وعداً.

فظلت تحث الخطى.

كانت هناك قوى عظمى تجذبها إليها.. وكانت تستسلم لتلك القوة، لأنها كانت على موعد مع قدرها.

تركت قصرها العظيم.. وفرَّت من حياة الدلال والترف، وحشرت نفسها داخل جيش النصارى الذاهب لقتال المسلمين، مرتدية ملابس الخدم حتى لايعرفها أحد ..

وينهزم جيش النصارى و تنكس راية جدها وأبيها و تقع أسيرة بيد المسلمين.

ويصل الخبر من الغيب إلى الإمام الهادي (عليه السلام) فيبعث أحد أصحابه ممن يتاجر في الرقيق ليشتريها، ويسرع الرسول ويخرج من جيبه رسالة كتبها الإمام بالرومية، وما أن قرأته حتى أدركت أنها قد بلغت مقصودها..

فكان اللقاء العظيم الذي كتب في التاريخ أنشودة الخلود.

كانت ثمرة ذلك اللقاء: مولود هو أفضل من على وجه الأرض بهاءً وكمالاً..

إنه المهدي المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف) ..

الموعود في عالم الغيب..

و هل هناك موعود أعظم منه؟

وهو الموعود في السماء لأهل الأرض أن يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن ملئت ظلماً و جوراً..

وهذا الكتاب ـ رغم عدم وجود المصادر التاريخية عند المؤلف، حيث كتبه العلامة السيد مرتضى الشيرازي في الأشهر الأخيرة من اعتقاله في السجن ـ يشتمل على استنتاجات هامة من هذه الأحداث التاريخية، ويحتوي على دروس كثيرة تضيء الدرب لمن أراد أن يذّكّر أو أراد شكوراً، فإن (السيدة نرجس عليها السلام مدرسة الأجيال) وهي خير أسوة للنساء والرجال.

مركز الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله للتحقيق والنشر

بيروت ـ لبنان

١٤١٨ هـ ١٩٩٧م

زيارة السيدة نرجس عليها السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

اَلسَّلامُ عَلى رَسُولِ الله، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، الصّادِقِ الأَمينِ، اَلسَّلامُ عَلى مَوْلانا اَميرِ الْمُؤْمِنينَ، اَلسَّلامُ عَلَى الأَئِمَّةِ الطّاهِرينَ، الْحُجَجِ الْمَيامينِ، اَلسَّلامُ عَلى والِدَةِ الاِمامِ، وَالْمُودَعَةِ اَسْرارَ الْمَلِكِ الْعَلاّمِ، وَالْحامِلَةِ لِأَشْرَفِ الأَنامِ، اَلسَّلامُ عَلَيْكِ اَيَّتُهَا الصِّدّيقَةُ الْمَرضِيَّةُ، اَلسَّلامُ عَلَيْكِ يا شَبيهَةَ اُمِّ مُوسَى وَابْنَةَ حَوارِيِّ عيسَى، اَلسَّلامُ عَلَيْكِ اَيَّتُهَا التَّقِيَّةُ النَّقِيَّةُ، اَلسَّلامُ عَلَيْكِ اَيَّتُهَا الرَّضِيَّةُ الْمَرْضِيَّةُ، اَلسَّلامُ عَلَيْكِ اَيَّتُهَا الْمَنْعُوتَةُ فِي الإِنْجيلِ الْمَخْطُوبَةُ مِنْ رُوحِ الله الاَمينِ، وَمَنْ رَغِبَ في وُصْلَتِها مُحَمَّدٌ سَيِّدُ الْمُرْسَلينَ، وَالْمُسْتَوْدَعَةُ اَسْرارَ رَبِّ الْعالَمينَ، اَلسَّلامُ عَلَيْكِ وَعَلى آبائِكِ الْحَوارِيّينَ، اَلسَّلامُ عَلَيْكِ وَعَلَى بَعْلِكِ وَوَلَدِكِ، اَلسَّلامُ عَلَيْكِ وَعَلَى رُوحِكِ وَبَدَنِكِ الطّاهِرِ، اَشْهَدُ اَنَّكِ اَحْسَنْتِ الْكَفالَةَ، وَاَدَّيْتِ الأَمانَةَ، وَاجْتَهَدْتِ في مَرْضاتِ الله، وَصَبَرْتِ في ذاتِ الله، وَحَفِظْتِ سِرَّ الله، وَحَمَلْتِ وَلِيَّ الله، وَبالَغْتِ في حِفْظِ حُجَّةِ الله، وَرَغِبْتِ في وُصْلَةِ اَبْناءِ رَسُولِ الله، عارِفَةً بِحَقِّهِمْ، مُؤْمِنَةً بِصِدْقِهِمْ، مُعْتَرِفَةً بِمَنْزِلَتِهِمْ، مُسْتَبْصِرَةً بِاَمْرِهِمْ، مُشْفِقَةً عَلَيْهِمْ، مُؤْثِرَةً هَواهُمْ، وَاَشْهَدُ اَنَّكِ مَضَيْتِ عَلَى بَصيرَةٍ مِنْ اَمْرِكِ، مُقْتَدِيَةً بِالصّالِحينَ، راضِيَةً مَرْضِيَّةً، تَقِيَّةً نَقِيَّةً

زَكِيَّةً، فَرَضِيَ اللهُ عَنْكِ وَاَرْضاكِ، وَجَعَلَ اْلجَنَّةَ مَنْزِلَكِ وَمَأْواكِ، فَلَقَدْ اَوْلاكِ مِنَ الْخَيْراتِ ما اَوْلاكِ، وَاَعْطاكِ مِنَ الشَّرَفِ ما بِهِ اَغْناكِ، فَهَنّاكِ اللهُ بِما مَنَحَكِ مِنَ الْكَرامَةِ وَأَمْرَاكِ.

ثمّ ترفع رأسك وتقول:

اَللّهُمَّ اِيّاكَ اعْتَمَدْتُ، وَلِرِضاكَ طَلَبْتُ، وَبِاَوْلِيائِكَ اِلَيْكَ تَوَسَّلْتُ، وَعَلَى غُفْرانِكَ وَحِلْمِكَ اتَّكَلْتُ، وَبِكَ اعْتَصَمْتُ، وَبِقَبْرِ اُمِّ وَلِيِّكَ لُذْتُ، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَانْفَعْني بِزِيارَتِها، وَثَبِّتْني عَلَى مَحَبَّتِها، وَلا تَحْرِمْني شَفاعَتَها، وَشَفاعَةَ وَلَدِها، وَارْزُقْني مُرافَقَتَها، وَاحْشُرْني مَعَها وَمَعَ وَلَدِها، كَما وَفَّقْتَني لِزِيارَةِ وَلَدِها وَزِيارَتِها.

اَللّهُمَّ اِنّي اَتَوَجَّهُ اِلَيْكَ بِالأَئِمَّةِ الطّاهِرينَ، وَاَتَوَسَّلُ اِلَيْكَ بِالْحُجَجِ الْمَيامينِ مِنْ آلِ طه وَيَس، اَنْ تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ الطَّيِّبينَ، وَاَنْ تَجْعَلَني مِنَ الْمُطْمَئِنّينَ الْفائِزينَ الْفَرِحينَ الْمُسْتَبْشِرينَ، الَّذينَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ، وَاجْعَلْني مِمَّنْ قَبِلْتَ سَعْيَهُ، وَيَسَّرْتَ اَمْرَهُ، وَكَشَفْتَ ضُرَّهُ، وَآمَنْتَ خَوْفَهُ، اَللّهُمَّ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَلا تَجْعَلْهُ آخِرَ الْعَهْدِ مِنْ زِيارَتي اِيّاها، وَاْرزُقْني الْعَوْدَ اِلَيْها اَبَداً ما اَبْقَيْتَني، وَاِذا تَوَفَّيْتَني فَاحْشُرْني في زُمْرَتِها، وَاَدْخِلْني في شَفاعَةِ وَلَدِها وَشَفَاعَتِها، وَاغْفِرْ لي وَلِوالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنينَ وَالْمُؤْمِناتِ، وَآتِنا فِي الدُّنْيا حَسَنَةً، وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنا بِرَحْمَتِكَ عَذابَ النّارِ، وَالسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا سَاداتي وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ.

السيدة نرجس عليها السلام في سطور

❖ السيدة نرجس (مليكة) ابنة يشوعا بن قيصر إمبراطور الروم.

❖ تنتمى من جهة الأم إلى شمعون وصي السيد المسيح (عليه السلام).

❖ وُلدت في عاصمة الأمبراطورية الرومية، قبل عام ٢٤٠ هجرية.

❖ هاجرت متنكرة، مع عدد من وصائفها، من مسقط رأسها وتعرضت للأسر، حتى وفدت إلى دار الإمام الهادي (عليه السلام) في سامراء (سرمن رأى).

❖ تكفلت بتربيتها السيدة حكيمة (سلام الله عليها) ابنة الإمام الجواد (عليه السلام).

❖ تزوجت من الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) وهي في مقتبل العمر وربيع الشباب.

❖ ولدت الإمامَ القائم المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف) في ظروف شديدة السرية، سحر ١٥ شعبان عام ٢٥٥ هـ.

❖ تنوعت أساميها وتعددت ، نظراً للظرف السياسي .. الأمني الدقيق،

فكان من أسمائها :

مريم ، حكيمة ، صقيل ، سبيكة ، نرجس ، سوسن ، حديثة ، ريحانة ، خمط.

واسمها الحقيقي : مليكة .

❖ أُلقي القبض عليها ووضعت تحت الرقابة الصارمة لفترات طويلة.

❖ تميزت بالشجاعة ، والحكمة ، والصمود ، والكتمان ، والمثالية .

❖ توفيت ، بعد وفاة الإمام الحسن العسكري (عليه السلام)، ولم يحدد لنا التاريخ[1] الزمن الدقيق.

---

(١) حسب الاستقراء المبدئي.

المقدمة [1]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله كما هو أهله، والشكر لله كما ينبغي له، والصلاة والسلام على رسوله وعلى آله الطيبين الطاهرين، واللعنة على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين.

قصة الكتاب ومنهجه

قبل سنين عصفت بنا عاصفة من الرزايا والمحن، وتضايقت علينا حلقات البلاء، وأحسست بأن أمواج المتاعب السياسية والمصاعب الاقتصادية تزداد عتواً وقوةً، ففكرت في التوسل إلى الله تعالى والتقرب إليه بأحب الخلق إليه - بعد آبائه الطاهرين[2] - من بيُمنه رُزِق الورى، وبوجوده

---

(١) عصر يوم ٨ شعبان ١٤١٧هـ.

(٢) راجع بحار الأنوار: ج٢٦ ص٢٩٧ ب٦ ح٦٤.

ثبتت الأرض والسماء[1]، وحبل الله المتين وصراطه المستقيم[2]، الإمام الثاني عشر الحجة بن الحسن، صاحب الزمان وخليفة الرحمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف).

وتذكرت عندها كلمة قيمة لأحد كبار الخطباء حيث قال: إذا أردت نجح طلبتك وقضاء حاجتك فتوسل إلى المعصومين (عليهم السلام) بأمهاتهم وشفّعهنّ لديهم، وهل يمكن أن يرد المعصومون (عليهم السلام) هذه الشفاعة؟!.

فحدثت نفسي عند ذاك: بأن اتخذ من كتابة كتاب عن حياة السيدة نرجس (عليها السلام) مدخلاً لإنجاح طلبتي، وبوابة أطمح عبرها أن يشملنا ولي الله الأعظم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) بدعوة منه صالحة وبوساطة منه منجزة لدن الإله الرؤوف الرحيم الجواد الكريم ..

وبالفعل بدأت بالكتاب، إلا أنني توقفت عند نهاية الصفحة الأولى!

فقد تملكتني الحيرة: ما الذي أكتبه عن حياة السيدة (عليها السلام) بحيث لا يكون نسخة مكررة من كتابات الآخرين، فقررت عندها أن أعتمد الأسلوب القصصي، (التوصيفي)، ولكن ـ ومع الأسف الشديد ـ فإن تياراً من المشاكل الجديدة فاجأنا، فحال دون أن أمضي في معالجة الأبواب المغلقة، بذلك (المفتاح الغيبي) البسيط جداً والهامّ جداً.

... ومضت الأشهر والسنين، وتتطور الأزمة السياسية لتتمخض عن: اعتقال العديد من خيرة الأصدقاء، ثم اعتقالي أنا بعدهم بأيام، مقروناً

---

(١) عمدة الزائر: ص٣٧٥، مفاتيح الجنان: ص ١٩٨، الدعاء والزيارة: ص٢٦٩.

(٢) راجع دعاء الندبة.

ذلك بنذر موحشة وإرعاد وإبراق[1] وأحداث لا مجال للحديث عنها الآن.

وتمضي علينا ـ في السجن الانفرادي ـ الأسابيع ثم الأشهر...

[وتساورني طوال تلك الأشهر هواجس مختلفة، وتعتصرني هموم كثيرة دنيوية وأخروية، وأجد السجن فرصة سانحة للابتهال إلى الله عزوجل والتضرع إليه للاستجابة ـ بفضله وكرمه وبحرمة آل الرسول (عليهم السلام) ـ لأكثر من خمسين حاجة عاجلة وآجلة، كان في طليعتها : تعجيل فرج الإمام الحجة (عجل الله تعالى فرجه الشريف)، وأن نوفق لنكون من خُلّص خدمه وأعوانه وأنصاره والمجاهدين والمستشهدين بين يديه، وأن يتفضل الله علينا بأن نرى الحق حقاً ونتبعه، والباطل باطلاً ونتجنبه، وأن نقدم أكبر خدمة للتشيع ، وأن نحظى بشفاعة الإمام الحسين (عليه السلام)، وأن نسقى من حوض الكوثر من يد الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، وأن نكون قمة في العلم والعمل بالكتاب والعترة[2]، وأن نكون لله دوماً من الشاكرين ، وأن تحل كافة مشاكلنا ومشاكل شيعة أهل البيت (عليهم السلام) بمختلف ألوانها وأشكالها، وأن يفرج الله عنا عاجلاً فاضلاً و...

وتوشك سنة كاملة على الانقضاء [3]، وأحصل قبلها بقليل على أوراق وقلم، فأفرغ قسماً من الوقت للكتابة حول مباحث متنوعة: حول أدعية

---

(١) إشارة إلى قول أمير المؤمنين (عليه السلام): (وقد أرعدوا وأبرقوا ومع هذين الأمرين الفشل، ولسنا نرعد حتى نوقع ولانسيل حتى نمطر) نهج البلاغة: الخطبة ٩.

(٢) إشارة إلى قوله (صلى الله عليه وآله) : (إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي) بحار الأنوار: ج٢٣ ص١٠٩ ح١٣ ب٧ فضائل أهل البيت (عليهم السلام) والنص عليهم، بإسناده إلى ابن أبي الدنيا من كتاب فضائل القرآن، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ..

(٣) أي في السجن.

مختارة من (الصحفية السجادية) أو من (مفاتيح الجنان) وعن بحوث ولائية وعقائدية أخرى] [1].

وأتذكر في رجب ١٤١٧ هـ، وقد مضى على الاعتقال حوالي السنة والشهر، ذلك العهد المنسي فأقرر ـ مستعيناً به تعالى ومتوسلاً بالسيدة نرجس (عليها السلام) كي أوفق لإنجاز المشروع، ومتشفعاً بها وبالإمام الحجة (عجل الله تعالى فرجه الشريف) للتوسط لدى الله عزوجل لقضاء تلك الحوائج ـ أن أكتب رغم انعدام المصادر في السجن.

وبعد إجالة الرأي رأيت أنه قد تكون الطريقة المثلى هي: أن أعتبر زيارة والدة الإمام القائم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) المذكورة في "مفاتيح الجنان" بمثابة المرشد والموجه لكثير من البحوث الأساسية [2]، ثم بعد ذلك: عمدت إلى الدمج بين (الأسلوب العلمي التحليلي) و(المنهج القصصي) و(الزخرفة التصويرية) أو (الأدب التصويري) وركزت على (استلهام عبر ودروس حيوية)، وعلى تسليط الأضواء على العديد من الجوانب التربوية والفكرية والنضالية في هذه المدرسة الربانية، قال تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُولِي الأَلْبَابِ**﴾[3].

واقتصرت ـ رعاية للأمانة ـ من القصص التاريخية عن حياتها (عليها السلام)

---

(١) هذه الإضافة ليلة ١٠ شعبان ١٤١٧هـ.

(٢) يراجع حول زيارتها (عليها السلام) آخر الفصل الخامس من هذا الكتاب.

(٣) سورة يوسف: ١١١. وحول أهمية القصص راجع: الكافي: ج٣ ص٤٢٢- ٤٢٤ ح٦. والكافي: ج٨ ص١٧٣- ١٧٦ ح١٩٤. ومن لا يحضره الفقيه: ج٤ ص٢٨٧- ٢٨٩ ح٤٤ باب النوادر. ومستدرك الوسائل: ج٦ ص١٥٤- ١٦١ ح٩.

على القدر الذي كنت واثقاً منه، اعتماداً على الحافظة المجردة، وتركت بقية القصص ريثما يوفقني الله تعالى للإكمال، عند ما أخرج من السجن، وتتاح لي المصادر، وربما يضاف عندها إلى الكتاب مثلما كتبت، أو أقل أو أكثر بقليل[1].

ولربما عانى الكتاب من بعض المد والجزر والتأرجح بين (الأسلوب القصصي المبهج) وبين (الأسلوب العلمي المعقد إلى حدما) ، ولعل ذلك يعود إلى طبيعة البحوث وعملية الدمج تلك ، و إلى الظروف الجسمية والروحية التي يعيشها السجين في غرفة ضيقة مقرونة بضغوط عديدة، مخلفاً ورائه أكثر من سنة، محدقاً في المستقبل المجهول!.

---

(١) والآن ـ ليلة ٢٥ شوال ١٤١٧ ليلة وفاة الإمام الصادق (عليه السلام) ١٤١٧هـ وبعد خروجنا من السجن بحوالي ٦٣ يوماً ـ أعيد مراجعة ما كتبته في السجن، وأحاول أن أملأ الثغرات التاريخية عبر مراجعة بعض المصادر المتوفرة ولله الحمد، والجدير بالذكر أنني وضعت كلما أضفته بعد مرحلة السجن بين معقوفتين هكذا [ ] تمييزاً لما كتبته في مرحلة السجن عما أضفته إليه وأنا في خارجه، وربما غفلت أحياناً نادرة عن ذلك. علماً بأنني قمت بإعادة ترتيب فصول الكتاب ومباحثه على نمط مغاير لتسلسل الكتابة، والله المستعان.

المدخل[1]

آفاق في كلمات

لكي نعرف من هي السيدة نرجس (عليها السلام) علينا لأن نتأمل بعمق الكلمات التالية التي تعدّ عوالم وآفاق مضغوطة في ألفاظ تكشف عن بعض تجليات السيدة والدة الإمام المنتظر (عجل الله تعالى فرجه):

فهي (عليها السلام): مشعل هداية على طريق البشرية، وشمس مشرقة في أفق الحياة ...

وهي (عليها السلام): مدرسة غنية بالتجارب، مفعمة بالعبر، مليئة بالدروس ...

وهي (عليها السلام): معهد تربوي يفيض بالعطاء، ويموج بالولاء، ويشمخ بالشمم والإباء ...

وهي (عليها السلام): ذلك المنهل العذب، والشراب الطهور، والينبوع المتفجر الذي يهذب الأخلاق ويصقل النفوس ويغسل درن الأرواح.

إنها (عليها السلام): رمز بطولة، ومسيرة حياة، ومنهج نضال.

إنها (عليها السلام): الامتداد الرسالي لحواريي النبي عيسى روح الله (عليه

---

(١) ليلة ١٠ شعبان ١٤١٧هـ.

السلام).

إنها (عليها السلام): التجسيد العملي للهجرة الكبرى من سلطان الجسد إلى عالم الروح، ومن زخارف الحياة الدنيا إلى مدارج عوالم الملكوت...

إنها (عليها السلام): الأنموذج الذي يلهمنا الصبر والصمود، ويعلمنا استخدام سلاح الكتمان في مواجهة عيون الطاغوت ورصده، والمثال الذي يشحذ الهمم لمواصلة المسيرة رغم الأعاصير الهوجاء في معترك فتن الأصدقاء ومحن الأعداء.

إن حياة السيدة مليكة: نرجس (عليها السلام)، تكشف عن سلسلة متكاملة من المناقبيات والروحانيات:

عن: الدعوات والابتهالات.

وعن: التوكل على الله وتفويض الأمر إليه في كافة منعطفات الحياة.

وعن: عطاء متواصل ينبعث عن ولاء متكامل.

وعن: مسيرة جهادية حافلة، تسجل واحدة من أروع الملاحم على مر التاريخ...

إنها (عليها السلام) رمز انتصار الأقلية الصالحة على جحافل الضلال، ومظهر من مظاهر النصر الإلهي المحتوم، والأسوة والقدوة في شتى الأبعاد.

... وعلى الصفحات القادمة نلتقي معاً لننهل من هذا المنهل العذب الفرات، ولنرتوي من عين الحياة.

الفصل الأول

ملامح عن عظمة السيدة نرجس

(عليها السلام)

الاختيار الإلهي[1]

في مجاهيل السرمدية، ومنذ الأزلية، كانت تلك "المرأة الخالدة" هي (الانتخاب الإلهي الكبير)، وكانت (الوحيدة) من بين كافة سكان الكرة الأرضية التي (اختارها) رب العالمين، للاضطلاع بواحدة من بين أعظم المسئوليات الإلهية الكبرى التي يدور مدارها، لا مصير سكان الأرض فحسب، بل مصير كافة العوالم والمخلوقات الإلهية على الإطلاق.

فلقد اطلع الله تعالى ـ بعلمه الأزلي المحيط ـ على كافة ما يضمره الغيب ويلفه العدم حينذاك ، واختار ـ بحكمته النافذة في عمق الأشياء والعلائق والترابطات والتي لا يعقل أن تزيغ قيد شعرة عن (وضع الأشياء مواضعها) ـ من بين كل المخلوقات تلك المرأة المعجزة، التي حظيت بذلك الوسام الرباني العظيم و(الثقة) والعناية الإلهية الكبرى.

إنها والدة خاتم الأوصياء[2]، والحبل المتصل بين الأرض والسماء، ومن بيُمنه رُزق الورى، وبوجوده ثبتت الأرض والسماء[3].

إنها (السيدة نرجس حفيدة قيصر ملك الروم)!.

وهل يعقل أن يكون الاختيار الإلهي إلا نابعاً عن حكمة لامتناهية؟.

---

(١) ليلة السبت ليلة ١٨ رجب ١٤١٧هـ في الزنزانة رقم ٦٠١.

(٢) راجع بحار الأنوار: ج٩٩ ص٨٥ ب٧ ح٢ (زيارة الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف).

(٣) عمدة الزائر: ص٣٧٥، مفاتيح الجنان: ص١٩٨، الدعاء والزيارة: ص٢٦٩.

وهل يمكن أن يكون انتخاب الله جل وعلا لتلك المرأة الخالدة من بين كافة نساء الأرض، لتكون أم الإمام المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف) والمؤتمنة عليه والكفيلة به، هل يمكن أن يكون ذلك دون العلم الشامل المحيط بأنها (أكفأ وأفضل)؟

من يصلح لذلك المجد العظيم الخالد والشرف الكبير الأبدي؟!

ودون امتلاكها لسلسلة من المواصفات والمزايا الفريدة؟.

وهل يعقل أن تنعقد نطفة ولي الله الأعظم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) من غير والد كالإمام الحسن العسكري (عليه السلام)، ومن غير والدة كالسيدة نرجس (عليها السلام).

وإذا كانت الجينات الوراثية بما تحمله من خصائص، تترك بصماتها على الوليد مدى الحياة، و إذا كان الجنين (يتغذى) طوال تسعة أشهر من والدته مباشرة، و إذا كانت (الحالات الجسمية والروحية) للوالدة، ذات تأثير كبير ـ سلباً أو إيجاباً ـ على الحمل، فإن من الطبيعي أن يختار الله لوليه الأعظم الذي قدر له أن يكون (طاهراً مطهراً من جميع الجهات) وأن يكون الأنموذج الإلهي الأسمى والمثال الأعلى لكافة الكائنات: أُمّاً مثالية ومن كافة الجهات.

وهذا ـ كما سنرى ـ هو ما يشهد به التاريخ والروايات أيضاً، وكما (يحكم به العقل أو يدركه)[1]، وكما تنطق به الفطرة، ويركن إليه الضمير، ويطمئن به الوجدان.

---

(١) ولو بالدليل الإني.

وإذا كانت السيدة نرجس (عليها السلام) هي ذلك الأنموذج الرباني، وهي تلك (الأُم المثالية)، فما أحرانا بأن نقوم بعملية التعرف على صفحات من حياة هذه السيدة العظيمة، والاستضاءة بأنوارها وإشعاعاتها الإلهية، وأن نتخذ منها ومن مدرستها خير أسوة وقدوة في مختلف شؤون الحياة وفي شتى المواصفات والجهات؟.

وألا يجدر بنا أن نحيي ذكراها ومسيرتها في قلوبنا وضمائرنا وعقولنا وعلى شفاهنا وأقلامنا؟.

وألا يجدر بنا أن نكتب عنها الكثير الكثير من الكتب، ونسجل عن حياتها وعظمتها ومدرستها الملايين من الأشرطة، وأن نسمي باسمها المبارك المؤسسات والشوارع و المدارس وغيرها؟.

وإذا كان المسيحيون يجلون السيدة مريم (عليها السلام) لأكبر إجلال ويحيون ذكراها أكبر إحياء، ويملؤون منها البيوت والكنائس وغيرها ـ رغم الفكرة غير الدقيقة التي يملكوها عنها ـ فإن علينا أن نقوم بإحياء ذكرى والدة الإمام الحجة الحي القائم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) بما لا يقل عما يجب أن نقوم به من إجلال وإكبار للسيدة مريم (عليها السلام).

وهذه الصفحات قد تكون محاولة متواضعة وبدائية جداً للتعرف على بعض تلك الإشراقات ولإكتشاف بعض هاتيك الصفات.

إنها (رحلة) سريعة إلى عالم الطهر والمثالية، إلى آفاق المواصفات النموذجية، إلى قمة المجد وحظيرة القدس ...

الأمنية الكبرى

من بين مئات الملايين، وفي غضون عدة قرون، قلائلُ فقط هم الذين حظوا بتلك السعادة، ونالوا ذلك الشرف، وحملوا ذلك الوسام الوضاء، وما أعظمه من شرف ، وما أبهجها من منقبة...

... نظرة واحدة فقط وللحظات لاغير تكفي وتزيد ...

إنها الأمنية الكبرى والسعادة العظمى ...

إنها نظرة واحدة فقط ولكن لمن؟

وعن مَ تعبّر؟

وما الذي تكشف ؟! .

ولماذا يحرم الملايين من العشاق والمحبين من مجرد لفتة او نظرة؟!.

ولكن ..

أيمكن للعين المجردة أن تحدق في عين الشمس الساطعة؟!.

وهل يمكن للأصم أن يلتذ بتغريد البلابل وأنشودة العصافير؟!.

وهل يمكن للمزكوم أن يشم أريج الزهور وعبير الورود ؟!.

وهل يمكن للروح وهي ملوثة أن تحظى بنظرة وان كانت عابرة، لقطب

دائرة الإمكان[1] وخليفة الرحمان[2]؟!

كلا ...

ألف كلا...

لابد من طهارة النفس، وسمو الروح، ونزاهة كافة الحواس عن أية مخالفة لرب العالمين.

وعندها ـ وفي درجات عليا ـ يتمتع المرء بنظرة وأكثر، ويحظى بلفتة ثم بحديث ثم تلفّه العناية الربانية أكثر فأكثر ليرقى إلى مستوى (جندي تحت الطلب) للإمام الحجة المنتظر (صلوات الله عليه).

ويبلغ قمة المجد وذروة العلياء، عندما يتحول إلى أحد حواريي الإمام (عجل الله تعالى فرجه الشريف) وإلى واحد من الخلص المقربين...

وستكون عندئذ غاية سعادته وكبرى أمنياته أن يكون درعاً واقية، ويداً ناصرة لصاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف) [3].

... إن ذلك هو المجد، وهو الحُلُم، وهو الحيوان، وهو الكرامة والشرف والمزيد، وهو فردوس أولياء الله وجنّتهم، وأسمى أحلامهم وأمنياتهم.

---

(١) راجع بحار الأنوار: ج٢٥ ص١٦٩ـ ١٧٥ ب ٤ ح٣٨ في صفات الإمام وشرائط الإمامة. وفيه بهذا النص: (دائرة الإيمان وقطب الوجود).

(٢) راجع بحار الأنوار: ج٥١ ص١ (بيان).

(٣) ليلة ٢٩/ رجب/ ١٤١٧هـ، ليلة الأربعاء، وقد تركت الكتابة لخمسة أيام والسبب هو أن قلمي كان قد انتهى آخر ليلة ٢٤، وكنت قبل انتهائه بأسبوع ـ تحسباً من انتهائه ـ طلبت شراء قلم من رئيس السجن ... وهكذا كان حيث أعطيت القلم بعد ١٢ يوماً من الطلب الجاد! وذلك رغم أن شراء الأقلام والأوراق كان يعد حقاً طبيعياً لكل سجين تمت محاكمته.

ولا نجد لتجسيد كل تلك العظمة أشد غرابة وأعظم تأثيراً من مشهد الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) عندما دخل عليه جمع من أصحابه ليفاجئوا به وهو يبكي، تألماً مما سيجري في زمان غيبة الإمام المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف) وحزناً على طول المدة وشدة المحنة، وعلى آلام الفراق أيضاً...

وعندما سُئل هل وُلد الإمام القائم (عجل الله تعالى فرجه الشريف)؟.

أجاب: كلا، ولو أدركته لخدمته أيام حياتي[1].

وإذا لاحظنا عظمة الإمام الصادق (عليه السلام) وعصمته أيضاً، لأصابتنا الدهشه من عمق دلالات هذه الكلمة، ولتملكنا الذهول من تلك المرتبة الخطيرة والمنقبة العظمى والمكانة السامية والذروة الشامخة التي يبلغها من يحظى بشرف خدمة الإمام المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف).

والآن وبعد كل ذلك يكفينا لمعرفة عظمة السيدة نرجس (عليها السلام) أن نقول:

لقد حظيت (عليها السلام) بموقع استراتيجي فريد، لا يمكن أن يتكرر بمجمله ـ لأحد على مرّ التاريخ !؟.

فلقد (تفرغت) لخدمة الإمام المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف) وكانت دونه جُنةً واقية، ودرعاً حصينة، وكان لها الشرف ـ كل الشرف ـ أن تحافظ على (حياة) ولي الله الأعظم لمدة طويلة! . في حياة الإمام العسكري (عليه

---

(١) علي بن أحمد عن عبد الله بن موسى، عن الحسن بن معاوية، عن ابن محبوب، عن خلاد بن قصار، قال: (سُئل أبو عبد الله (عليه السلام) هل ولد القائم؟ قال: لا، ولو أدركته لخدمته أيام حياتي)، بحار الأنوار: ج٥١ ص١٤٨ ح٢٢ باب٦.

السلام) وبعد وفاته[1].

وكان لها (عليها السلام) إلى جوار كل ذلك منزلة (الأمومة) لآخر خلفاء الله في الخليقة جمعاء!.

إضافة إلى التشرف بزيارته في فترة غير قصيرة.

وما أعظم هذه المنزلة وأسماها؟!.

أو ليست (الأُم) هي التي يتقرب الأبناء إلى الله برضاها؟!

ثم كم هو عمق تلك المحبة الخالصة التي يكنها ولي الله الأعظم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) لوالدته السيدة نرجس؟!.

وسنصاب مرة أخرى بالذهول والدهشة والدوار أيضاً عندما نتصور عظمة المكانة التي احتلتها السيدة نرجس (عليها أفضل الصلاة وأزكى السلام) في منظومة الكون وفي قلب قطب رحى الوجود كله!؟.

[وكإشارة تاريخية عابرة إلى جانب من تلك الحقيقة يكفي أن نعلم بأن الإمام القائم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) في الدقائق الأولى لولادته، نطق ـ بإذن الله تعالى وبأمر الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) ـ بـ (أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً رسول الله) ثم بعدها (يصلي على علي أمير المؤمنين وعلى الأئمة الطاهرين عليهم السلام) وبعدها وبأمر والده الإمام العسكري (عليه السلام) نجده يسلّم على أمه السيدة نرجس (عليها السلام)![2].

---

(١) تطرق السيد المؤلف إلى الحديث عن ذلك بالتفصيل في فصول أخرى من هذا الكتاب...

(٢) بحار الأنوار: ج٥١ ص٣ نقلاً عن إكمال الدين، وص٢٦ نقلاً عن رجال الكشي.

معادلات تكوينية [1]

الدنيا مبنية على معادلة "الأسباب والمسببات التكوينية الطبيعية" وهي الأصل، وخوارق العادة استثناء [2]؛ فهنالك ـ مثلاً ـ سلسلة من الأمراض وهنالك طرق ومناهج وبلاسم وأغذية وأدوية معينة للعلاج، وهنالك بذر فَسَقْي فحصاد، وهنالك معسكرا الكفر والإيمان، ولكل منها صولة وجولة وهزيمة وانتصار، وهذه لا تتحق إلاّ بالإعداد والعتاد والتخطيط والاستعداد، وتلك هي حكمة الله البالغة والظرف والمحيط الذي لابد منه لتحقق معادلة (الابتلاء والامتحان)[3].

و(كتاب الله) و(عترة رسول الله ﷺ) يدوران ضمن هذا الإطار الإلهي الكوني الكلي، فهنالك أسباب وطرق وعلل وعوامل لابد من توفيرها للحفاظ على هذين الكتابين: "الصامت والناطق" وإلا فإن مؤامرات الأعداء ستمتد لـ (تحريف الكلم عن مواضعه)[4]، وللفصل بين القرآن الناطق والقرآن الصامت (كقضية الحكمين في صفين)[5].

وستحصد سموم الجبناء الحاقدين من الطغاة والماكرين، وسيوف

---

(١) ليلة ٧ / شعبان ١٤١٧هـ.

(٢) قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً﴾ سورة الكهف: ٨٩. الكهف: ٩٢.

(٣) قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ﴾ سورة العنكبوت: ٢.

(٤) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ سورة النساء: ٤٦.

(٥) مناقب آل أبي طالب، لابن شهر آشوب: ج٣ ص١٨١ ـ ١٩٤. فصل في الحكمين في الخوارج.

التعساء والأشقياء من الجهلة والمارقين : أولياء الله الصالحين، فـ (ما منّا إلا مقتول أو مسموم)[1]، و(يد الغيب) لا تمتد عادةً للتدخل لقلب المعادلات الطبيعية وتغيير مجريات التاريخ، إلا في الموارد الضرورية وبالقدر الضروري أيضاً، وفي إطار المحافظة الكلية على قاعدة ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾[2] وأصل وجود نوع من التوازن بين معسكري الكفر والإيمان مع مدّ وجزر لا يصل إلى حد إطفاء شمس الحقيقة نهائياً، ولا إلى حد استئصال جيوش الضلال والإضلال كلياً، قال تعالى : ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾[3].

وولي الله الأعظم خاتم الأوصياء وسيد الأولياء (عجل الله تعالى فرجه الشريف) ليس بمستثنى من تلكم القواعد، فكانت (الغيبة) مثلاً للحفاظ على حياته الشريفة، ولاختبار البشرية أيضاً، ولعوامل أخرى عديدة، ولا نقصد الآن إلا تسليط الأضواء على جانب من العوامل الطبيعية التي توفرت بلطف الله تعالى، للحفاظ على شمس وجود قطب رحى الوجود بالقدر الذي يترابط مع محور حديثنا في هذا الكتاب.

---

(١) بحار الأنوار: ج٢٧ ص٢١٦- ٢١٧ ح١٨ ب٩، في شدة محنهم وأنهم أعظم الناس مصيبة. عن كفاية الأثر بهذا الإسناد: الحسين بن محمد بن سعيد الخزاعي، عن عبد العزيز بن يحيي الجلودي، عن الجوهري، عن عتبة بن الضحاك، عن هشام بن محمد، عن أبيه قال: خطب الحسن بن علي (عليهما السلام) بعد قتل أبيه فقال في خطبته: لقد حدثني حبيبي جدي رسول الله صلى الله عليه وآله: (أن الأمر يسلكه اثنا عشر إماماً من أهل بيته وصفوته، ما منا إلا مقتول أو مسموم). وذكره المجلسي في بحاره عن كفاية الأثر: ج٤٣ ص٣٦٣ -٣٦٤ ح٦ ب١٧ في خطبه بعد شهادة أبيه (عليهما السلام) بنفس الإسناد والنص، إلا أنه ليس فيه عبد العزيز بن يحيى الجلودي.

(٢) سورة البلد: ١٠.

(٣) سورة الأنفال: ٤٢.

واسطة الفيض الإلهي

فكما كان مبيت الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) ليلة المبيت[1]، مكان الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) سبباً تكوينياً طبيعياً لـ (الحفاظ) على حياة سيد البشرية (صلى الله عليه وآله وسلم) ورغم أنه اعتضد بعوامل غيبية ضرورية كان لابد منها لإكمال الإخراج الإلهي.. الغيبي .. الطبيعي، للحفاظ على حياته (صلى الله عليه وآله وسلم) كما حدث في قبضة التراب التي رماها (صلى الله عليه وآله وسلم) في وجوه (وجوه القبائل) الذين حاصروا داره بغية الإجهاز عليه، فأعماهم الله عن رؤيته (صلى الله عليه وآله وسلم) لدى خروجه من الدار ومن ثنايا الحصار[2].

وكما حدث في قضية غار ثور، وغيرها وغيرها[3]، إلاّ أنه لم يعطل التدخل الغيبي العامل الطبيعي أبداً، بل لم يمنع من "مباهاة" الله عز وجل ملائكة سماواته بـ (علي بن أبي طالب (عليه السلام)) الذي آثر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) على نفسه، وعرض نفسه ـ راغباً مبتهجاً ـ لخطر أن يكون هو

---

(١) تفسير الحبري: ص٢٤٢ح ٩ تفسير الآية ٢٠٧ من سورة البقرة. وأمالي الطوسي: ص٢٥٢ـ ٢٥٣ ح ٤٣ المجلس ٢٩. وص ٤٤٦ ح ٢و٣ المجلس ١٦. وص٤٤٦- ٤٤٧ ح٤ المجلس١٦. وص٤٤٧ ح٥ المجلس١٦. وص٤٦٣ ـ ٤٧٢ ح٣٧ المجلس١٦. وص٥٤٥- ٥٥٤ ح٤ المجلس٢٠. وتفسير شبر: ص٤١ط الأعلمي في تفسير الآية ٢٠٧ من سورة البقرة.

(٢) أمالي الطوسي: ٤٤٧ ح ٦ المجلس١٦.

(٣) مجمع البيان: ج٥ ص٣١ في تفسير الآية ٤٠ من سورة التوبة، وراجع تفسير شبر: ص١٧١.

الضحية بدل الرسول (صلى الله عليه وآله) في خطة لإيهام المحاصرين أن علياً عليه السلام هو الرسول صلى الله عليه وآله فيهاجموه هو (عليه السلام) دونه (صلى الله عليه وآله وسلم) [1].

ومن هذا الباب كان الدور الخطير الذي قامت به السيدة نرجس (عليها السلام) في المحافظة على حياة الإمام الحجة (عجل الله تعالى فرجه الشريف) لفترات طويلة ـ أثناء فترة الحمل وبعد الولادة أيضاً ـ فرغم أن الله تعالى تدخل تدخلاً إعجازياً مباشراً لـ (إخفاء آثار الحمل)، كما فعل في قضية: أُم موسى (عليها السلام) إلا أنه جل وعلا ترك جانباً من بقية المعادلة على حالتها الطبيعية، فكان على السيدة (عليها السلام) أن تعتصم بأكبر قدر من سلاح الكتمان وضبط النفس، وأن تتحمل شتى مصاعب (احتجازها) لفترة طويلة وإخضاعها لرقابة مستمرة لفترة أطول، وشتى الضغوط التي يمكن أن تتعرض لها المرأة في تلك الظروف السياسية البالغة التعقيد والمتفجرة بالحقد الهادر والخوف الرهيب من الوليد الخطير ـ الخطير.

وكذلك فعلت (عليها السلام) وتحملت من أمرّ ما يمكن للمرأة أن تتحمله حتى بقي (سر الله) سراً، وهي بذلك تكون قد قامت بدور أساسي في (المحافظة) على حياة ولي الله الأعظم، وآخر أوصياء الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) وحبل الله المتين وصراطه المستقيم[2]، والوارث لكل رسالات السماء، والطالب بذحول الأنبياء وأبناء الأنبياء عليهم السلام، والثائر بدم المقتول

---

(١) حول مباهاة الله بعلي (عليه السلام) في قضية المبيت راجع (شواهد التنزيل) للحاكم النيسابوري: ج١ ص٦٩- ٩٧ ح١٣٣ في تفسير الآية ٢٠٧ من سورة البقرة.

(٢) وردت هذه الكلمات (حبل الله المتين وصراطه المستقيم) في زيارة امير المؤمنين (عليه السلام)، راجع بحار الأنوار: ج٩٧ ص٣٢٣ ـ ٣٢٨ ح٢٧ باب ٤ في زياراته المطلقة.

بكربلاء عليه السلام [1]، والذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما مُلأت ظلماً وجوراً، والذي نطلب من الله عز وجل أن يجعل (صلاتنا به مقبولة، وذنوبنا به مغفورة ودعاءنا به مستجاباً، و... وأرزاقنا به مبسوطة، وهمومنا به مكفية، وحوائجنا به مقضية)[2].

وبذلك نكشف أنها (عليها السلام) لها الفضل العظيم على البشرية جمعاء، وأنها من الوسائط التكوينية ـ الإرادية للفيض الإلهي على الخليقة، وهي جزء العلل المعدة للطف الإلهي الكبير الكبير، أي للحفاظ على من (يحفظ الله فيه رسوله وآباءه الائمة دعائم الدين)[3]، ومن (يحيي الله به سنن النبيين ودارس حكم النبيين ويجدد به ما امتحى من دينه وبدل من حكمه)[4].

---

(١) راجع مفاتيح الجنان، دعاء الندبة، وفيه: (أين الطالب بذحول الأنبياء وأبناء الأنبياء، أين الطالب بدم المتقول بكربلاء)..

(٢) مفاتيح الجنان المعرب: دعاء الندبة. وراجع جمال الأسبوع: ص٥٥٣ ـ ٥٦٦ دعاء الندبة.

(٣) راجع مفاتيح الجنان: الدعاء للإمام الحجة المبدو بـ (اللهم ادفع عن وليك) والنقل بالمضمون الذي يقارب النص.

(٤) راجع مفاتيح الجنان: الدعاء للإمام الحجة (عليه السلام) المبدو بـ (اللهم ادفع عن وليك).

الصدقة الجارية

وهي (عليها السلام) بذلك أيضاً تحظى بأجر الهي لا يمكن تصوره، لكونها ممن مهّدت الأرضية للحفاظ على (من به تُقبل أعمال الخلائق، وبه تُزكى أعمال البرايا)، فـ (ولي الله الأعظم وواسطة الفيض الحقيقي) هو (صدقتها الجارية) على مر الأعصار والدهور، وفي الحديث: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: ولد صالح يدعو له...)[1].

ثم إذا كان (الدال ـ لشخصٍ أو أُمّة أو شعوب ـ على الخير كفاعله)[2] فما بالك بمن كان السبب في المحافظة على حياة من به قوام خير الأمم كلها والشعوب كلها على مرّ الأزمان وكرّ الأعصار؟!.

وأعظِم بها من منزلة، وأكرِم بها من مكرمة ...

[ولذلك كله نجد السيدة حكيمة عليها السلام ـ رغم مكانتها السامية جداً عند أبيها الإمام الجواد (عليه السلام) وأخيها الإمام الهادي(عليه السلام) وابن أخيها الإمام العسكري (عليه السلام) ثم عند الإمام الحجة (عجل الله تعالى فرجه الشريف) حيث كانت من القلة النادرة من سفرائه ووكلائه ـ نجدها تخاطب السيدة نرجس عليها السلام قائلة: (إنا فداك وجميع العالمين)![3] ..

---

(١) غوالي اللئالي: ج١ ص٩٧ ح١٠ الفصل السادس. وفيه: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: ولد صالح يدعو له، وصدقة جارية، وعلم ينتفع به).

(٢) الخصال: ج١ ص١٣٤ح١٤٥ باب الثلاثة، بهذا الإسناد: حدثنا حمزة بن محمد بن أحمد العلوي، قال أخبرني علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن جعفر بن محمد الأشعري، عن عبدالله بن ميمون القداح، عن أبي عبد الله، عن آبائه، عن علي (عليهم السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (كل معروف صدقة، والدال على الخير كفاعله، والله يحب إغاثة اللهفان).

(٣) بحار الأنوار: ج٥١ ص٢٥ باب ولادته وأحوال أمه (عجل الله تعالى فرجه الشريف) الرقم ٣٧.

المستودعة أسرار رب العالمين [1]

تستوقفنا، في زيارة السيدة نرجس (عليها السلام) عبارة ذات دلالة عميقة جداً، عند ما نقرأ (السَّلامُ عَلَى وَالِدَةِ الإمَام، وَالْمُودَعَةِ أسْرَارِ الْمَلِكِ العَلاّم)[2] و: (الْمُسْتَوْدَعَةِ أسْرَارِ رَبِّ العَالَمِين)[3].

ويا لها من مكرمة لو وُزنت بها الجبال الشوامخ لرجحت عليها، ولو قيست بها السماوات و الأرض لوسعتها وزادت عليها بما لايعلمه إلا ﴿الله والراسخون في العلم﴾[4].

إنها (عليها السلام) (أمينة الرب) وما أسماها من مرتبة، وأخطرها من منزلة، وليست (المؤتمنة) على سرّ إلهي واحد فقط، بل إنها (المودعة أسرار الملك العلام) و(المستودعة أسرار رب العالمين).

وإذا لاحظنا أن (الجمع المضاف) يفيد العموم والشمول إلا فيما خرج بالدليل[5]، لازدادت هاتان الجملتان إشراقاً وبهاءً وسناءً وبريقاً، ولتضاعفت في عقولنا المعرفة بالمكانة المثالية الكبرى التي تحتلها السيدة نرجس (عليها السلام) في منظومة ما كان وما سيكون وما هو كائن.

وإننا لنجد عبارة أخرى في وصفها (سلام الله عليها): (وحَفَظَت سرّ

---

(١) عصر يوم ١٩/رجب/ ١٤١٧هـ.

(٢) مفاتيح الجنان.

(٣) مفاتيح الجنان.

(٤) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ سورة آل عمران: ٧.

(٥) راجع كتاب "الاصول" للامام الشيرازي (قدس سره).

الله)[1]، ولربما استشعرنا منها أن المراد بـ (سر الله) هو الإمام المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف) إلا أن تينك العبارتين السابقين قد تأبيان عن هذا التخصيص - وإن كان هو بحد ذاته منقبة عظمى لا تثمن - بل هما ظاهرتان في الشمول والعموم للكثير الكثير من الأسرار، فدقق، خاصة إذا لاحظنا الفرق بين عبارة (حَفَظَت) وعبارتي (المودَعَة.. المستودَعَة).

هذا ولنا أن نستشعر دلالة أخرى ذات أهمية بالغة من الجملتين السابقتين:

فإذا كانت كلمات المعصومين (عليهم السلام) توزن كالذهب بالمثاقيل، بل هي أغلى وأسمى من أن تقاس حتى بنادر الجواهر ويتيمة الدرر، وإذا كانت كل كلمة (توزن) بدقة لامتناهية وتنتخب بحكمة وتستخدم على معرفة تامة بكافة الدلالات المطابقية والتضمنية والالتزامية، وحتى الملازمات والملزومات والملابسات، وحتى الإيقاعات و"الجرس والظلال" التي تحملها كل كلمة..

إذا كان الأمر كذلك، فإننا نستشعر بوضوح هذه الدلالة الخطيرة، فهي عليها السلام (المودعة أسرار الملك العلاّم) ويا لها من إضافة دقيقة: إضافة (أسرار) إلى (الملك العلاّم)، إنها إذن أسرار ترتبط بـ: (ملكوت الله) وهو (الملك العلام)، وتتأكد الدلالة أكثر عندما نلاحظ الفقرة الأخرى: (المستودعة أسرار رب العالمين) وعندما نلاحظ ما لكلمة (رب) بما هي هي، ثم بما هي مضافة إلى (العالمين) من دلالات كبرى.

وستتضح الدلالتان أكثر عند ما نقرأ: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ

---

(١) مفاتيح الجنان: زيارتها (عليها السلام).

السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[2].

وسنكتشف عمق تلك الدلالات أكثر فأكثر، وسنصاب بدهشة أكبر وأكبر، عندما نرى ذات العبارة المستخدمة في التعريف بالسيدة نرجس (عليها السلام) قد استخدمت في التعريف بالإمام الحجة (عجل الله تعالى فرجه الشريف) إذ نقرأ في الزيارة الثانية الواردة بعد زيارة آل ياسين: (السلامُ عَلَيكَ يا حَافِظَ أسرارِ رَبِّ العالمين)[3]!!.

وإننا[4] إذا تأملنا النقاط السابقة في مبحث (الاختيار الإلهي)[5]، ولاحظنا سلسلة المواصفات النموذجية التي تحلت بها السيدة نرجس (عليها السلام)- كما سنشير لذلك لاحقاً إن شاء الله - زال عنا بعض الاستغراب.

وإذا ما تأملنا في موقف السيدة حكيمة عليها السلام - أخت الإمام الهادي (عليه السلام) - وذلك الإجلال والإكبار الفريد الذي خصت به السيدة نرجس عليها السلام حتى أنها صرحت لها، بحضور الإمام العسكري (عليه السلام) بأن عليها[6] أن تخدم السيدة نرجس (عليها السلام) ولها[7] المنة عليها بذلك أيضاً، كما صرحت أيضاً بأنها سيدتها[8] ولم يكتف الإمام العسكري (عليه السلام) بـ (تقرير) ذلك فحسب، بل إنه عند ما سمع من عمته السيدة حكيمة عليها السلام

---

(١) سورة الأنعام: ٧٥.

(٢) سورة الفاتحة: ٢.

(٣) مفاتيح الجنان المعرب.

(٤) ليلة ٢٠ رجب ١٤١٧هـ.

(٥) راجع الصفحة ٢١ من هذا الكتاب.

(٦) أي السيدة حكيمة (عليها السلام).

(٧) أي السيدة نرجس (عليها السلام).

(٨) أي السيدة نرجس سيدة السيدة حكيمة (عليهما السلام)!.

هذه الكلمات قال لها: (جزاك الله يا عمة). هذا الحدث قد سبق ولادة الإمام الحجة (عجل الله تعالى فرجه الشريف) بسويعات.

[وإليك ـ هذا المقطع التاريخي ـ كما ترويه السيدة حكيمة (عليها السلام) بنفسها، قالت: (فجئتُ ـ أي إلى دار الإمام العسكري (عليه السلام) ـ فلما سلّمت وجلست جاءت (نرجس) تنزع خفي وقالت لي: يا سيدتي وسيدة أهلي كيف أمسيت؟ فقلت: بل أنت سيدتي وسيدة أهلي، فأنكرت قولي، وقالت: ما هذا يا عمة؟.

وفي رواية أخرى: فجاءتني نرجس عليها السلام تخلع خفي فقالت: يا مولاتي ناوليني خفك، فقلت: بل أنت سيدتي ومولاتي، والله لا أدفع إليك خفي لتخلعيه ولا لتخدميني، بل أنا أخدمك على بصري، فسمع أبو محمد (عليه السلام) ذلك فقال: جزاك الله ـ يا عمة ـ خيراً [1]].

[بل إننا نجد فوق ذلك في التاريخ، فلقد انكبت السيدة حكيمة (عليها السلام) على يدي السيدة نرجس (عليها السلام) تقبلهما! فها هي السيدة حكيمة (عليها السلام) تصرخ قائلة: (فقلت: يا سيدي ـ الإمام العسكري (عليه السلام) ـ ممن يكون هذا الولد العظيم؟.

فقال (عليه السلام) لي: من نرجس يا عمة.

فقلت له: يا سيدي ما في جواريك أحب إليّ منها، وقمت ودخلت إليها وكنت إذا دخلت فعلت بي كما تفعل ـ أي كعادتها في احترامي ـ فانكببت على يديها، فقبّلتها ومنعتها ما كانت تفعله، فخاطبتني بالسيادة

---

(١) (الإمام المهدي من المهد إلى الظهور) لآية الله السيد محمد كاظم القزويني (قدس سره)، نقلاً عن الشيخ الصدوق (قدس سره) في إكمال الدين وإتمام النعمة.

فخاطبتها بمثلها)[1].

ونواصل الإستماع لحديث السيدة حكيمة (عليها السلام) بشغف ودهشة حيث تقول: (فقالت ـ أي السيدة نرجس عليها السلام ـ فديتك، فقلت لها: أنا فداك وجميع العالمين!، فأنكرت ذلك، فقلت لها: لا تنكرين ما فعلت...)[2].

وإذا لاحظنا المكانة السامية جداً التي كانت تمتلكها السيدة حكيمة (عليها السلام)، ولاحظنا هذا الإجلال الفريد الذي تعاملت على ضوئه مع السيدة نرجس (عليها السلام) منذ ليلة ١٥ شعبان، زالت عنا بعض آثار تلك الدهشة، فلقد كانت السيدة حكيمة عليها السلام بعد شهادة الإمام العسكري (عليه السلام) هي إحدى السفراء القلائل جداً بين الإمام الحجة (عجل الله تعالى فرجه الشريف) وبين الناس، وكانت منزلتها وعظمتها وجلالتها وقدرها كالنور على شاهق الطور.

ـ كما صرح به العلامة المجلسي (رضوان الله تعالى عليه) في مزار البحار ـ وكانت هي التي عهد إليها الإمام (عليه السلام) بتربية السيدة نرجس عليها السلام عند حلولها دار الإمام، وهي في حوالي الرابعة عشر من العمر، ومع كل ذلك تقول للسيدة نرجس عليها السلام: (بل أنت سيدتي وسيدة أهلي)، (بل أنت سيدتي ومولاتي)، (بل أنا أخدمك على بصري)، و(أنا فداك وجميع العالمين)].

---

(١) بحار الأنوار: ج٥١ ص٢٥.

(٢) بحار الأنوار: ج٥١ ص٢٥.

الفصل الثاني

قبس من الأحداث

وميض من أعماق الزمن[1]

في أعماق الزمن الغابر توهج لذلك الاسم الملائكي وميض وضياء... وفي كتاب مقدس من أشهر الكتب السماوية سطع نور، ورسمت علامة، وسجلت شهادة، وعلى يد السيد المسيح (عليه السلام) تمت الخطبة!.

.. وكذلك ابتسم الخط السعيد للسيدة نرجس (عليها السلام) في عالم القدس الربوبي..

فهي تلك الحوراء الإنسية (المنعوتة في الإنجيل) [2].

وهي تلك العذراء الطاهرة (المخطوبة من روح الله الأمين)[3].

وهي تلك السلالة الطيبة المنحدرة من صلب الحواريين من أصحاب عيسى المسيح (عليه السلام).

فهي (ابنة حواريّ عيسى)[4].

وهي التي نعتز جميعاً بأن نهتف باسمها دائماً قائلين: (السلام عليك وعلى آبائك الحواريين)[5].

إنها (عليها السلام) حلقة الوصل الخالدة بين أكبر شريعتين سماويتين.

---

(١) ظهر ٢٣ / رجب / ١٤١٧هـ.

(٢) مفاتيح الجنان: زيارة السيدة نرجس (عليها السلام).

(٣) مفاتيح الجنان: زيارة السيدة نرجس (عليها السلام).

(٤) مفاتيح الجنان: زيارة السيدة نرجس (عليها السلام).

(٥) مفاتيح الجنان: زيارة السيدة نرجس (عليها السلام).

إنها (عليها السلام) التي (رغب في وصلتها محمد ﷺ سيد المرسلين)[1].

وهي (عليها السلام) أم خاتم الأوصياء ووريث الأنبياء والوسيط بين الأرض والسماء ...

[إنها هي تلك التي خطبها خاتم النبيين وسيد المرسلين محمد المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) من روح الله المسيح عيسى بن مريم (عليه السلام)!.

ولقد تلألأت تلك الحقيقة التاريخية الخالدة في أروع مشهد رباني، أمام عيني السيدة نرجس = مليكة، وهي لا تزال في قصر جدها قيصر "الإمبراطور الروماني" ولما تتجاوز الثالثة عشرة من العمر].

---

(١) مفاتيح الجنان: زيارة السيدة نرجس (عليها السلام).

في عالم الملكوت

[فلقد شاءت إرادة الباري (جل وعلا) أن تتجسد (مراسم الخطبة والعقد) في عالم روحاني سام، دخلت آفاقه السيدة نرجس عليها السلام وشاركت فيه وشهدته مباشرة عبر بوابة (عالم الكشف والشهود)، أو عبر روزنة (الرؤيا الصادقة) والتي عدت في الروايات جزءً من أربعين جزء من النبوة..[1]

والأفضل أن نستمع إلى (مليكة الدنيا والآخرة) تحدثنا مباشرة عن ذلك

---

(١) القرآن الحكيم يحدثنا عن رؤى ومنامات عديدة لبعض الأنبياء عليهم السلام ولغيرهم، كرؤيا النبي إبراهيم (عليه السلام) قال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى..﴾ سورة الصافات: ١٠٢.

ورؤيا النبي يوسف (عليه السلام) قال سبحانه: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ سورة يوسف: ٤.

ورؤيا الشابين الذين دخلا معه السجن، قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْراً وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي..﴾ سورة يوسف: ٣٦.

ورؤيا الملك، قال سبحانه: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلاَتٍ خُضْرٍ..﴾ سورة يوسف: ٤٣.

ورؤيا النبي (صلى الله عليه وآله) قال تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاء اللهُ آمِنِينَ..﴾ سورة الفتح: ٢٧.

وغيرها من المنامات الصادقة المذكورة في الروايات والتي تحققت في الخارج وفي المستقبل، راجع حول هذا الموضوع كتاب (الإمام المهدي من المهد إلى الظهور) ص١٢٨- ١٣٠ وكتاب (دار السلام) للشيخ النوري رحمه الله.

المشهد الكوني الخالد:

(... رأيت في تلك الليلة [1] كأن المسيح (عليه السلام) وشمعون وعدة من الحواريين قد اجتمعوا في قصر جدّي، ونصبوا فيه منبراً يباري السماء علواً وارتفاعاً في الموضع الذي كان جدي نصب فيه عرشه، فدخل عليهم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) مع فتية وعدة من بنيه، فتقدم المسيح (عليه السلام) إليه (صلى الله عليه وآله) فاعتنقه، فقال له محمد (صلى الله عليه وآله وسلم): يا روح الله إني جئتك خاطباً من وصيّك (شمعون) فتاته (مليكة) لإبني هذا ـ وأومأ بيده إلى أبي محمد (أي الإمام العسكري (عليه السلام)).

فنظر المسيح (عليه السلام) إلى شمعون وقال له: قد أتاك الشرف، فصِل رحمك برحم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

قال: قد فعلت، فصعد ذلك المنبر، وخطب محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وزوّجني من ابنه، وشهد المسيح (عليه السلام)، وشهد أبناء محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) والحواريون ...[2]].

---

(١) أي الليلة التي تدخلت فيها يد الغيب إعجازياً للحيلولة دون إجراء مراسم خطبة وتزويج السيدة نرجس عليها السلام من ابن اخ قيصر ملك الروم، كما سيأتي ذكره.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة: ص٤٢١ الباب ٤١. وبحار الأنوار: ج٥١ ص٨ الباب الأول نقلاً عن كتاب الغيبة للطوسي.

إخراج الهي وصياغة ربانية

لقد جسدت الرؤيا هذه لقطة عن عالم آخر يسمو فوق عالمنا المادي والحسي، وقد ترجمت القرار الإلهي منذ مجاهيل القدم بصيغة مشهدٍ نموذجي فريد، لتعكس آفاقاً مستقبلية مشرقة، فكانت الرؤيا هذه هي الرابط، وهي حلقه الوصل الرائعة بين الماضي والحاضر والمستقبل.

وقد شاءت العناية الربانية أن تعقد صلة حقيقية ومميزة واستثنائية بين السيد المسيح (عليه السلام) وبين خاتم الأوصياء المهدي المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف):

فها هو السيد المسيح (عليه السلام) ـ في الماضي السحيق ـ يساهم مساهمة أساسية ويقوم بدور رئيسي في أحداث ذلك الرباط المقدس وذلك الزواج الملائكي الذي تمخض عن ولادة آخر حجج الله تعالى على وجه البسيطة، بل في منظومة عالم الإمكان كلها.

وها هو السيد المسيح (عليه السلام) ـ في الغد المشرق ـ ينزل بأمر الله سبحانه وتعالى من السماء [1] الرابعة ليصلي خلف إمامنا المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف) وليدعو الناس إلى الدين والاسلامي الحنيف...

وكان لابد أن يحيط خالق الكون ـ ومن منطلق الحكمة الربانية ـ ذلك الحدث السعيد، بكافة مظاهر الإكرام والإكبار وبأجلى مظاهر القدس

---

(١) راجع كمال الدين: ج١ ص٢٨٠ ح٢٧ باب ٢٤.

والروحانية والإجلال ... وهكذا تجلى السيد المسيح (عليه السلام) مع شمعون ومع عدة من الحواريين أيضاً في قصر إمبراطور الروم، ثم نصبوا في القصر منبراً يباري السماء علواً وارتفاعاً، كرمز للمجد السامي التليد وللمستقبل المشرق الرفيع.

ثم ها هو خاتم الرسل (صلى الله عليه وآله وسلم) يدخل مع مجموعة من الفتيان ومع عدة من بنيه أيضاً، ونشاهد هنا واحداً من أروع المشاهد على مر التاريخ البشري: فها هو نبي الإسلام "يعتنق" السيد المسيح (عليه السلام) بأخوة ومحبة لا تضارع ... أو ليسا رسولين لرب العالمين؟

أو لم يكن السيد المسيح (عليه السلام) ﴿وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [1]؟

أو ليس خاتم الرسل هو آخر مرحلة في قوس الصعود وسلسلة "التكامل التكويني والتشريعي" التي بدأها آدم (عليه السلام) أبو البشرية، ليواصل مشوارها أنبياء الله العظام:

نوح وإبراهيم وموسى ثم عيسى المسيح (عليهم السلام) لتتوج تلك المسيرة الربانية الكبرى بمحمد المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ .

وهكذا أحاطت العناية الربانية بالسيدة (نرجس= ريحانة) من كل جانب.

فكانت هي تلك العذراء الوحيدة - من بين كل نساء الأرض - التي يشارك في عملية خطبتها ومحفل عقدها نبيّاً أعظم ديانتين سماويتين، لتقترن بـ (إمام معصوم تخضع له الأكوان كلها) ولتنجب (خاتم

---

(١) سورة الصف: ٦.

الأوصياء[1] والسبب المتصل بين الأرض والسماء[2]، ومن بيمنه رُزق الورَى، وبوجوده ثبتت الأرض والسماء)[3] ...]

هكذا كان . وما أروع ما كان ...

لقد كان (الإخراج) إلهياً، و(الصياغة) ربانية، والرغبة من قبل خاتم الأنبياء وسيد المرسلين ﷺ، وهو الجد الأعلى لزوجها المترقب، وكانت الخطبة من قبل واحد من أكبر الأنبياء، من أولي العزم، السيد المسيح (عليه السلام). وحق لها كل ذلك.

أفلم تكن حفيدة أحد حواريي السيد المسيح (عليه السلام) ؟!.

ألم تكن هي ذلك الملاك الطاهر والجوهرة القدسية؟!.

وأليست هي التي قدّر لها رب الأفلاك أن تكون والدة خاتم الأوصياء ووارث الأنبياء وحجة الله على أهل الأرض والسماء؟!.

وبعد ذلك .. ألا يجدر بها كل ذلك ؟!

وحق لنساء الأرض أن يرفعن رؤوسهن شموخاً وكبرياءً، إذ كانت قد برزت من بينهن امرأة كنرجس (عليها السلام)!.

وحق لنساء العالم أن يرسمن ذلك الوجه الملائكي الطاهر على لوحة القلب بأشعة من نور.

وحق لبنات حواء أن يتخذن منها أسوةً وقدوةً ومناراً وضياءً .

---

(١) راجع بحار الأنوار: ج٩٩ ص٨٥ ب ٧ ح ٢ (زيارة الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف).

(٢) بحار الأنوار: ج٩٩ ص٨٩ ب ٧. وبحار الأنوار: ج٩٩ ص١٠٧ ب ٧ ح٢ (زيارة الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف).

(٣) عمدة الزائر: ص٣٧٥، الدعاء والزيارة: ص٢٦٩، مفاتيح الجنان.

تلك الفتاة الطاهرة .

تلك الشابة المهاجرة .

تلك الأسيرة الأميرة.

تلك الزوجة الوفية (الراضية المرضية، التقية النقية، الصديقة الزكية)[1].

تلك الأُم الحنون، ينبوع المحبة والإشفاق والإيثار.

تلك المرأة .. العطاء، والولاء والفداء، والمثل السامي في المعرفة والإيمان والعزم والمضاء.

إنها: القديسة نرجس!

إنها هي "ملكية" و"سوسن" و"حكيمة" و"مريم" أيضاً!.

لقد كانت القديسة مريم العذراء أم السيد المسيح (عليه السلام).

وكانت السيدة نرجس (عليها السلام) أُم الإمام الحجة المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف) وهي حفيدة أحد حواريي السيد المسيح (عليه السلام) وكانت المخطوبة منه والمبشر بها في إنجيله، وكانت تحمل ـ فيما تحمل من الأسماء ـ اسم السيدة مريم[2].

---

(١) راجع بحار الأنوار: ج٩٩ ص٧٠ ـ ٧١ باب ٦ ح ٨ في زيارة الإمامين العسكريين (عليهما السلام) عن مصباح الزائر للسيد ابن طاووس الحسيني، مفاتيح الجنان، عمدة الزائر: ص ٣٣٠ ـ ٣٣١ عن مصباح الزائر أيضاً، المنتخب الحسيني: ص ٦٣٨- ٦٣٩ وفيها (راضية مرضية تقية نفية زكية).

(٢) راجع بحار الانوار: ج٥١ ص٢٨ ح٣٧ عن الشهيد (رحمه الله) في الدروس.

زلزال في القصر الملكي[1]

لشدّ ما أقلقت أسرتها، نرجس!.

إنها تضمر يوماً بعد يوم، وتصفرّ، وتمتنع من تناول الطعام والشراب، وتعاني من مرض مجهول، وتبدو سابحة في آفاق بعيدة ... وبعيدة، وكأنها تعيش في عالم آخر.

وتزداد دواعي القلق والاضطراب، ويتحول نهار أعضاء الأسرة المالكة بالروم إلى ظلام، ويعجز كافة أطباء بلاد الروم عن العثور على حل لهذا اللغز الغريب؟.

ماذا دهى الحبيبة نرجس؟.

إنها سيدة القصر الملكي، وهي الفتاة المدلّلة، وهي الشابة الطيبة، وهي التي يحبها الجميع محبة صادقة، فهي رغم كل مظاهر العظمة والثراء والملوكية: حلوة الحديث، لطيفة المعشر، متحلية بخلق رفيع، وتواضع جمّ، ويالها من صفات تندر أن تجتمع في شابة ثرية!.

[لنرجع قليلاً إلى الوراء ولنستمع إليها تحدثنا مباشرة عن تلك الأحداث المثيرة:

---

(١) ليلة الجمعة ٢٤ / رجب / ١٤١٧ هـ.

(إن جدي قيصر أراد أن يزوجني من ابن أخيه، وأنا من بنات ثلاث عشرة سنة، فجمع في قصره من نسل الحواريين ومن القسيسين والرهبان ثلاثمائة رجل، ومن ذوي الأخطار - أي الشخصيات الاجتماعية والاقتصادية البارزة - وجمع من أمراء الأجناد وقواد العساكر ونقباء الجيوش وملوك العشائر أربعة آلاف، وأبرز من بهو ملكه (أي قاعة الاستقبال) عرشاً مصنوعاً من أصناف الجواهر، إلى صحن القصر، فرفعه فوق أربعين مرقاة.

فلما صعد ابن أخيه وأحدقت به الصلبان وقامت الأساقفة عكفاً ونشرت أسفار الإنجيل، تساقطت الصلبان من الأعالي فلصقت بالأرض وتقوضت الأعمدة فانهارت إلى القرار، وخرّ الصاعد من العرش مغشياً عليه!

فتغيرت ألوان الأساقفة وارتعدت فرائصهم، فقال كبيرهم لجدي: أيها الملك، اغضُ من ملاقاة هذه النحوس الدالة على زوال الدين المسيحي والمذهب الملكاني.

فتطير جدي من ذلك تطيراً شديداً وقال للأساقفة: أقيموا هذه الأعمدة وارفعوا الصلبان واحضروا أخا هذا المدبر العاثر المنكوس جدّه (إي تعيس الحظ) لأزوّج منه هذه الصبية، فيدفع نحوسه عنكم بسعوده.

فلما فعلوا ذلك حدث على الثاني ما حدث على الأول، وتفرق الناس وقام جدي قيصر مغتماً ودخل قصره وأرخيت الستور...)].

تأملات

[وتستوقفنا هنا نقاط عديدة:

أ : فـ (يـد الغيـب) تمتـد لتتـدخل إعجازيـاً مـرتين متتـاليتين لإجهـاض المخطط البشري، إعـداداً لتنجـز الوعـد الإلهـي الـصادق الـذي قـدّر للبشرية وللعالم أجمع غداً مشرقاً سـعيداً على يـد وليـد السيدة نـرجس (عليها السلام) منقذ البشرية الأعظم!.

ب : وكان إجهاض " ذلك المخطط البشري" فريـداً مـن نوعـه ومتميـزاً، فلقد (تساقطت الصلبان من الأعالي فلـصقت بـالأرض وتقوضـت الأعمـدة فانهارت إلى القرار وخرّ الصاعد من العرش مغشياً عليه).

إنه إنذار إلهي، وحجة دامغة عبر مشهد إعجـازي رهيـب، يرمـز إلى أن هذه الفتـاة في دائـرة الـضوء الأزلـي غـير خاضـعة للقـرار البـشري، بـل إن مـا خطّته لها يد الغيب هو أمر آخر من نمط آخر، وبشكل لا يتصور .. وكـان مـا حدث تجسيداً لإرادة الله تعالى وأمره الغالب.

ج: وكما (خرّ الصاعد مـن العـرش مغـشياً عليـه) منقـذاً بـذلك مـستقبل السيدة نرجس (عليها السلام) كذلك (تساقطت الـصلبان مـن الأعـالي فلـصقت بالأرض) كرمز للمعادلة الكونية القادمة، ولمستقبل (الديانة المسيحية المحرفة) في آفاق غير منظورة..

إنها إرهاصات كونية تلّقى إشاراتها بوضوح الأساقفة الذين كـانوا علـى علم بطريقة التعامل الغيبي مع الأحداث الكبرى، التي ترتبط برسـل الـسماء

وخلفاء الإله على وجه الأرض: (أيها الملك، اغضُ من ملاقاة هذه النحوس الدالة على زوال الدين المسيحي والمذهب الملكاني).

فكما غاضت بحيرة ساوة، واطفات نيران فارس، وتهدمت شرفات إيوان كسرى[1]، كرمز لإشراق شمس خاتم الرسل (صلى الله عليه وآله وسلم)، كذلك (تساقطت الصلبان من الأعالي، فلصقت بالأرض، وتقوضت الأعمدة، وخرّ الصاعد من العرش مغشياً عليه) كرمز لظهور خاتم الأوصياء (عجل الله تعالى فرجه).

د: ولنا أن نستكشف من تلكم الأحداث طريقة الإمبراطور الرومي ومنهجه في الحكم، وفي التعامل مع الأحداث والأشخاص أيضاً، فهو يقوم بمخطط احتواء (نسل الحواريين) ويستعين في تركيز دعائم عرشه بـ (الرهبان والقسيسين) وهو إلى ذلك - كأضرابه من الملوك والقياصرة - يعتمد في ترويض الشعب والسيطرة عليه على أسلوب (عرض العضلات) وعلى تشكيلة متنوعة ومبهرة من مظاهر البذخ والثراء، وكل ما يمكن أن يسحر أعين الناس ويسيطر على عقولهم.

ثم هو بعد ذلك وبرغم النذر الإلهية والحجج الدامغة، يعاند الحق ويكافح ضده، ويصر رغم تلك (الإرهاصات) ورغم حديث كبير الأساقفة، على تزويج السيدة نرجس (عليها السلام) ويقوم بالتجربة الخطرة للمرة الثانية!.

وعند ما يجد ذاته عاجزة عن معارضة القدر الإلهي (يقوم مغتماً) بدل

---

(١) راجع تاريخ اليعقوبي: ج٢ ص٧- ١٤ مولد رسول الله (صلى الله عليه و آله). وكمال الدين: ج١ ص١٩١- ١٩٦ ح٣٨ باب١٧ خبر سطيح الكاهن.

أن يبدأ البحث الجاد عن الحقيقة، وبدل أن يخضع لها ويسلس لها القياد.

ثم إننا نجده ـ قبل ذلك ـ يتعامل مع الأشخاص وكأنهم عبيد، فحتى حفيدته الحبيبة إليه إلى أقصى الحدود، عليها أن تخضع لإرادته المطلقة في القرار المصيري الذي يرتبط بحياتها هي المستقبلية دون استشارة منها أو السؤال عن رأيها ورغباتها، فهو يفرض الرأي فرضاً، ويحدد الزوج والوقت وطريقة الزواج، وبقرارات مرتجلة وليدة لحظات قليلة: (...واحضروا أخا هذا المدبر العاثر المعكوس جده..)].

الهجرة المقدسة

وكان بعد ذلك [1] أن اتخذت السيدة نرجس (عليها السلام) قرار (الهجرة)، وما أصعب (الهجرة من الوطن) إلى حيث المجهول..

وما أقسى (الغربة)، ومفارقة (الأهل والأحبة)!..

وما أشق (الأسفار) في الزمن الغابر على الأرجل، أو على ظهور الإبل أو الخيل أو البغال والحمير، ولأشهر طويلة، تحت أشعة الشمس الساطعة وحرارتها اللافحة، أو تحت رحمة الرياح والأمطار والثلوج والعواصف الهوجاء، ووجهاً لوجه، مع مخاطر كثيرة: قطاع طريق، جوع وعطش، ضياع وضلال، ومتاهات محتملة... وإلى غير ذلك.

وإذا كانت (الهجرة) و(الغربة) و(مراراة الأسفار) على الرجل شاقة ومؤرقة ومزعجة، حتى أضحت (كابوساً مخيفاً) للكثيرين، فما أشقها وأصعبها وأشدها مرارةً وإرهاقاً للمرأة ـ لضعفها وعواطفها وتركيبتها الجسمية والعصبية والروحية ـ ؟.

وإذا كانت " المرأة" تتحمل كل ذلك العذاب، إذا كانت تستظل بحمى

---

(١) بعد فشل مشروع قيصر ملك الروم في تزويجها، وبعد الرؤيا الصادقة التي شاهدتها، وبعد فترة مرض عضال أعقب تلك الأحداث، بعد ذلك وبأمر الإمام العسكري (عليه السلام) كما سيأتي، قررت الهجرة.

أب أو زوج أو قريب يرفع عن كاهلها كثيراً من الآلام في المهجر، وأثناء السفر، فما أقسى ذلك العذاب إذا ما اضطرت المرأة ـ وهي ريحانة وليست بقهرمانة [1] ـ إلى أن تواجه كافة أخطار السفر ومصاعب الغربة والمهجر، وحيدة فريدة؟!.

وكذلك شاءت أن تكون " السيدة نرجس (عليها السلام)"!!.

وكم كان لها من العمر آنذاك ؟.

إنها كانت قد تجاوزت الثالثة عشرة من العمر بقليل ـ ولربما كانت في الرابعة عشرة ـ عندما اتخذت ذلك القرار الخطير الرهيب: قرار الهجرة ...

ومن أين..

وإلى أين ؟.

من بلاد الروم إلى أراضي الحجاز!!.

قرار ينوء تحمل حمله كثير من الرجال، وما يقرب من كافة النساء، فكيف بشابة في مقتبل العمر!؟.

إنها (نرجس = مليكة) ابنة يشوعا بن قيصر ملك الروم؟!.

ومن هي؟.

لقد خلّفت وراءها كل شيء: القصور، والفخفخة الملوكية، والحرير

---

(١) إشارة إلى الحديث الشريف: (المرأة ريحانة وليست بقهرمانة) نهج البلاغة: وصية له (عليه السلام) للحسن بن علي (عليه السلام) كتبها إليه بحاضرين منصرفاً من صفين. وكنز الفوائد: ج١ ص٣٧٦: فصل من كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) في ذكر النساء. و بحار الأنوار: ج١٠٠ ص٢٥٢ ح٥٤ عن نهج البلاغة . والبحار: ج١٠٠ ص٢٥٣ح٥٦ ب٤ في أحوال الرجال والنساء من أبواب النكاح، عن كنز الفوائد.

والرياش والعطور، وتلبية شتى أنواع الرغبات ، وكذلك كافة مظاهر الإجلال والإكبار، والعظمة والسلطة، والعزة الدنيوية ...

وما أصعبه من قرار؟!.

وكيف كان ذلك ؟!.

لقد انسلت وبسرية تامة من قصر قيصر ملك الروم، ثم عرّضت نفسها لـ (الأسر) ...

نعم : أميرة الأمس، أضحت وبملأ إرادتها أسيرة اليوم][1].

---

(١) ما يوضع بين معقوفتين هكذا [ ] هو مما ألحق بالكتاب بعد الخروج من السجن والهجرة، كما سبق في المقدمة.

رؤيا صادقة

[وها هي السيدة (نرجس ـ سوسن) تحدتنا عن هذا المنعطف التاريخي الكبير قائلة :

(... أخبرني أبو محمد ـ أي الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) ـ في إحدى الرؤى الصادقة التي كانت ترى فيها الإمام العسكري (عليه السلام) وهو زوجها المستقبلي، ليلةً من الليالي:

إن جدك سيسير جيشاً إلى قتال المسلمين يوم كذا، فعليك باللحاق بهم متنكرةً في زي الخدم مع عدة من الوصائف من طريق كذا .. ففعلت، فوقعت علينا طلائع المسلمين...)[1].

ولقد تذرعت السيدة نرجس = مليكة، في هذه المرحلة ـ كي يتسنى لها الالتحاق بالجيش ـ بحجة (مداواة الجرحى) في تلك الحرب الدائرة في جنوب شرقي أوربا [2].

فكان التنكر في زي الخدم وستار (مداواة الجرحى) هو الستار الذي وفّر لها تحقيق ذلك المخطط التاريخي].

---

(١) بحار الأنوار: ج٥١ ص٩ نقلاً عن كتاب الغيبة للشيخ الطوسي، ونظيره في إكمال الدين للشيخ الصدوق: ص٤٢٢ الباب٤١.

(٢) يوم الخلاص: ص ٨٨.

إن الرجل العادي منا ـ فكيف بالعالم أو الثري ـ يأبى عادة أن يتحول إلى "خادم" ولو لسويعات، ويعتبر مجرد الاقتراح عليه بذلك أكبر إهانة!.

أما هي (عليها السلام) فقد تقبلت بملأ الرضا أن تصبح (أسيرة) و(مملوكة) و(أمة)!.

ويا لغرابة الحدث!

ولكن لماذا كل ذلك؟!.

لكي تبلغ أرض المقدسات: المدينة المنورة.

ولكي تحظى بشرف خدمة ولي الله وحجته: الإمام الهادي (عليه السلام)، ثم وبعدها لكي تسعد بالمجد الأعظم والشرف الأسمى..

وهكذا تحملت (عليها السلام) كل ما تحملت لأجل أنها (رغبت في وصلة أبناء رسول الله)[1] رغم المشاق والصعاب ورغم جسيم المخاطر وعظيم الأهوال.

إنها "هجرة ربانية" من زخارف الحياة الفانية، إلى نعيم الدار الباقية.

من حياة الترف والبذخ، إلى حياة الزهد.

من الملوكية، إلى الروحانية و إلى حيث مهبط الوحي ومستقر الخلافة والإمامة الإلهية.

ولذلك كله نجد المقطوعة التالية تتلألأ كوسام أبدي خالد للسيدة نرجس= صيقل، حيث جاءت في زيارتها هذه الجملة:

(أشهد أنك ... اجتهدت في مرضات الله، وصبرت في ذات الله ...)[2]

---

(١) مفاتيح الجنان: زيارة السيدة والدة الإمام القائم (عجل الله فرجه الشريف).

(٢) مفاتيح الجنان: زيارة والدة الإمام القائم (عجل الله تعالى فرجه الشريف).

وسنرى فيما بعد، أن اجتهادها في مرضات الله وصبرها على الأذى في ذات الله استمر صفة مثالية ملازمة لها طوال حياتها (عليها السلام).

ولقد كانت هجرتها هذه امتداداً لهجرة أنبياء الله ورسله وأوصيائه والصالحين والصالحات على مر التاريخ، وكفاها فخراً أن تكون ـ فيما كانت ـ مهاجرة في سبيل الله بما تحمله الكلمة من دلالات وتحكيه من إشارات[1].

(١) إنني في الزنزانة رقم ٦٠١ ، لا أملك أي مصدر أرجع إليه، لذا أجلت هذه المقاطع التاريخية وأشباهها ريثما أخرج من السجن بإذنه تعالى لأنقلها من كتب التواريخ بصورة دقيقة، لا كما في الحافظة. وها أنا ذا الآن وبعد الهجرة والحمد لله، أعيد مراجعة ما كتبته في السجن وأضيف إليه المقاطع التاريخية بين معوقتين [ ] كما سبق.

الأميرة.الأسيرة!

لقد اتخذت (أميرتنا) قرارها الخطير دون تردد ..

وما أخطره من قرار؟!.

فها هي (تهرب) متخفية وبسرية تامة، ومتنكرة في ملابس الخدم!.

ولكن.. إلى أين؟.

إنها (ذكية) بالقدر الكافي، و(مسددة) غيبياً أيضاً، فكما ألهم الله تعالى السيدة مريم (عليها السلام) ما ألهم [1]، كذلك كانت السيدة نرجس (عليها السلام)، فقد ألهمت (المسير) و(المصير) ...

وهكذا ألقت (الأميرة) بنفسها في وثائق (الأسر) فعادت بعد أن كانت أميرة أسيرة!

وسبحان من جعل (الأسر) طريق العروج، والعسر مقدمة لليسر[2]، والعذاب[3] طليعة الثواب، والعطاء وليد النصب والعناء...

فكما قدّر الله ذلك للرجل قدّره للمرأة أيضاً، وكما برز في عالم الرجال آحاد، برزت في عالم النساء أيضاً نوادر.

فكما عانى يوسف الصديق (عليه السلام) من الجُبّ والعبودية، عانت

---

(١) راجع سورة آل عمران: الآية ٤٢ ـ ٤٣ وكذلك الآية ٤٥ ـ ٥١.

(٢) قال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً ۞ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً﴾. سورة الشرح: ٥ ـ ٦.

(٣) أي في الدنيا.

السيدة نرجس (عليها السلام) من الأسر والرّقية .

وكما كانت العبودية هي السلم الطبيعي الذي قدره الإله معراجاً للنبي يوسف (عليه السلام)، كانت الرّقّية والأسر هي السُلّم الضروري الذي قدره الإله معراجاً للسيدة نرجس (عليها السلام).

وكما عانى يوسف الصديق (عليه السلام) من السجن عانت السيدة نرجس (عليها السلام) من السجن أيضاً.

وكما قدر الله ليوسف بن يعقوب (عليهما السلام) أن يكون نبياً ـ ملكاً، قدر الله للسيدة نرجس (عليها السلام) أن تكون أُماً للإمام الذي سيملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن مُلأت ظلماً وجوراً، وكفاها شرفاً وفخراً أن تكون بذلك (مليكة) الدنيا والآخرة!.

[وإليكم الآن جوانب من حادثة (الأسر) وقصة المبعوث الذي أرسله الإمام الهادي (عليه السلام) إلى جسر الصراة ببغداد، ومعه المواصفات الدقيقة للأسيرة الرومية المعروضة للبيع على حافة الجسر].

المهمة السرية

[يقول بشر بن سليمان ـ وهو من أحفاد أبي أيوب الأنصاري، صحابي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأحد جنود وأنصار الإمام الهادي والإمام العسكري (عليهما أفضل الصلاة وأزكى السلام) ـ :

كان مولانا أبو الحسن الهادي (عليه السلام) فقّهني علم الرقيق (أي المسائل الشرعية التي تتعلق ببيع وشراء العبيد والإماء) فكنت لا أبتاع (أي لا اشتري) ولا أبيع إلا بإذنه، فاجتنبت بذلك موارد الشبهات، حتى كملت معرفتي فيه، فأحسنت الفرق بين الحلال والحرام[1]، فبينما أنا ذات ليلة في منزلي بسرّمن رأى (سامراء)، وقد مضى هوي من الليل (أي مقدار) إذ قرع الباب قارع، فإذا أنا بكافور الخادم، رسول مولانا أبي الحسن علي بن محمد

---

(١) إكمال الدين: ج٢ ص٤١٨ ح١ ب٤١ ما روي في نرجس أم القائم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) بهذا الإسناد: حدثنا محمد بن علي بن حاتم النوفلي قال: حدثنا أبو القاسم أحمد بن عيسى الوشاء البغدادي، قال: حدثنا أحمد بن طاهر القمي، قال: حدثنا أبو الحسين محمد بن بحر الشيباني، قال: وردت كربلاء سنة ست وثمانين ومائتين قال: ...

وعن كمال الدين أورده المجلسي ﷺ في بحار الأنوار: ج٥١ ص١٠- ١١ ح١٣ باب١ ولادته وأحوال أمه (عليه السلام). وكذلك أورده في بحاره: ج٥١ ص٦- ٨ ح ١٢ ب١ باب ولادته وأحوال أمه (عليه السلام) عن غيبة الشيخ الطوسي بهذا الإسناد: جماعة عن أبي المفضل الشيباني، عن محمد بن بحر بن سهل الشيباني قال: قال بشر بن سليمان النحاس وهو من ولد أبي أيوب الأنصاري أحد موالي أبي الحسن وأبي محمد عليهما السلام وجارهما بسرمن رأى: أتاني كافور الخادم، فقال: مولانا أبو الحسن علي بن محمد العسكري (عليه السلام) يدعوك إليه فأتيته، فلما جلست بين يديه قال لي: يا بشر إنك من ولد الأنصار وهذه الموالاة لم تزل فيكم يرثها خلف عن سلف وأنتم ثقاتنا.

(عليه السلام) يدعوني إليه، فلبست ثيابي ودخلت عليه، فرأيته يحدث ابنه أبا محمد (عليه السلام) وأخته حكيمة (عليها السلام) من وراء الستر، فلما جلست قال (عليه السلام):

يا بشر إنك من ولد الأنصار، وهذه الموالاة - أي المحبة وإلاتباع لآل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) - لم تزل فيكم، يرثها خلف عن سلف، وأنتم ثقاتنا أهل البيت (عليهم السلام) وإني مزكيك ومشرفك بفضيلة تسبق بها سائر الشيعة في الموالاة بها: بسرٍ أطلعك عليه وأنفذك في ابتياع أمة.

فكتب كتاباً ملصقاً (أو لطيفاً، كما في كتاب الغيبة) بخط رومي ولغة رومية وطبع عليه بخاتمه، واخرج شنتقة (شنطةً، أي حافظة نقود) صفراء، فيها مائتان وعشرون ديناراً، فقال: خذها وتوجه بها إلى بغداد، واحضر معبر الصراة (أي جسر الصراة) ضحوة يوم كذا (أي وقت الضحى من يوم حدده له الإمام (عليه السلام)، فإذا وصلت إلى جانبك زوارق السبايا، وبرزن الجواري منها، فستحدق بهن طوائف المبتاعين من وكلاء قواد بني العباس وشراذم من فتيان العراق، فإذا رأيت ذلك فأشرف من البعد على المسمى عمر بن يزيد النخاس (النخاس هو بياع المماليك) عامة نهارك إلى أن تبرز للمبتاعين جارية صفتها كذا وكذا، لابسة حريرتين صفيقتين (الثوب الصفيق: هو ذو النسج الكثيف) تتمنع من السفور ... وترفض بشدة أن يشتريها أحد. فيقول النخاس: فما الحيلة ولابد من بيعك؟

فتقول الجارية: وما العجلة؟ ولا بد من اختيار مبتاع يسكن قلبي إليه وإلى وفائه وأمانته ..

فعند ذلك قم إلى عمر بن يزيد النخاس وقل له: إن معي كتاباً ملصقاً

لبعض الأشراف كتبه بلغة رومية وخط رومي ووصف فيه كرمه ووفاءه ونبله وسخاءه، فناولها لتتأمل منه أخلاق صاحبه، فإن مالت إليه ورضيت فأنا وكيله في ابتياعها منك.

وأضاف بشر قائلاً: فامتثلتُ جميع ما حدّه لي مولاي أبو الحسن (عليه السلام) في أمر الجارية.

فلما نظَرَت في الكتاب بكت بكاءً شديداً ... فما زلت أشاحه (أي أساومه بقوة) في ثمنها حتى استقر الأمر فيه على مقدار ما كان أصحبنيه مولاي (عليه السلام) من الدنانير في الشنتقة الصفراء، فاستوفاه مني، وتسلمت منه الجارية ضاحكة مستبشرة، وانصرفت بها إلي حجرتي التي كنت آوي بها ببغداد، فما أخذها القرار حتى أخرجت كتاب مولاها عليه السلام من جيبها وهي تلثمه (أي تقبله) وتضعه على خدها وتطبقه على جفنها وتمسحه على بدنها. فقلت ـ تعجباً منها ـ: أتلثمين كتاباً لا تعرفين صاحبه؟.

فقالت: أيها العاجز الضعيف المعرفة بمحل أولاد الأنبياء! أعرني سمعك وفرّغ لي قلبك: أنا مليكة بنت يشوعا بن قيصر ملك الروم، وأمي من ولد الحواريين، تنسب إلى وصي المسيح: شمعون، أنبؤك العجب العجيب، إن جدي قيصر أراد...[1].

وفي هذه العجالة سنسلط بعض الأضواء على عدد من جوانب هذا المقطع التاريخي النادر فقط، تاركين مجموعة من البحوث الأخرى للطبعة القادمة إن شاء الله تعالى].

---

(١) إكمال الدين وإتمام النعمة، للشيخ الصدوق: ص ٤١٨- ٤٢٠. وكتاب الغيبة للشيخ الطوسي: ص ١٢٤- ١٢٥.

الانتخاب النموذجي

لقد انتخب الإمام الهادي (عليه السلام)، لتنفيذ تلك المهمة السرية جداً والخطيرة جداً، رجلاً تجمعت فيه مواصفات نموذجية:

فهو من الناحية الأسرية والتاريخية: ذلك الشخص الذي حملت أسرته أباً عن جدّ وسام الموالاة لآل بيت الرسول الأطهار (عليهم السلام) حتى يصل الأمر إلى أبي أيوب الأنصاري الصحابي الجليل، وتكفي في الإشارة بعمق وتواصل واستمرارية تلك الموالاة، شهادة الإمام الهادي عليه السلام: (يا بشر إنك من ولد الأنصار، وهذه الموالاة لم تزل فيكم يرثها خلف عن سلف)[1].

وهو من الناحية الشخصية:

أ: ذلك الشخص الخبير، والفقيه في مجال اختصاصه، وهو ذلك الذي خضع لإشراف تربوي ـ فقهي مباشر من حجة الله على الأرض: (كان مولانا أبو الحسن الهادي (عليه السلام) فقّهني في علم الرقيق... فاجتنبت بذلك موارد الشبهات حتى كملت معرفتي فيه وأحسنت الفرق بين الحلال والحرام).

ب: وهو ذلك الشخص المطيع، الملتزم أشد الالتزام بالتعاليم وبالحدود التي يرسمها له الإمام الهادي (عليه السلام): (فكنت لا أبتاع ولا أبيع إلا بإذنه) و: (فامتثلت جميع ما حدّه لي مولاي أبو الحسن (عليه السلام) في أمر الجارية) بل انه هو ذلك الذي يتحفظ حتى من الوقوع في الشبهات: (فاجتنب بذلك موارد الشبهات).

---

(١) إكمال الدين وإتمام النعمة: ص ٤١٨- ٤٢٠.

ج: وهو ذلك الشخص الأمين، الثقة، المعتمد، كما يصرح الإمام (عليه السلام) به، بل كل سلسلة آبائه كانت كذلك: (وأنتم ثقاتنا أهل البيت)[1].

د: وهو ذلك الشخص الكتوم، الحافظ للأسرار، ولذلك انتخبه الإمام عليه السلام لهذه المهمة، وصرح له بـ: (وإني مزكّيك ومشرّفك ... بسر أطلعك عليه)[2].

هـ: وهو الكفوء والذكي في طريقة التعامل: (فما زلتُ أشاحه في ثمنها حتى استقر الأمر فيه على مقدار ما كان أصحبنيه مولاي عليه السلام من الدنانير) وقد قام بدوره خير قيام، فاشترى الجارية، دون أن يُعرف من هو؟ ولمن يشتري؟

ثم استطاع أن يحافظ على الطابع السري للمهمة فترة وجوده في بغداد، حتى أوصل الأمانة إلى سامراء سالماً، ولذلك كله فقد خصه الإمام عليه السلام بفضيلة يسبق بها سائر الشيعة.

فرحمك الله يا بشر بن سليمان، وأعطاك من الدرجات أسناها، ومن الخيرات أسماها، فلقد كنت الجندي النموذجي، ولقد كنت صاحب السعادة الكبرى، حيث حظيت بخدمة الإمام الهادي (عليه السلام) وخدمة الإمام العسكري (عليه السلام) وحيث حظيت بشرف الائتمان ـ لفترة من الزمن ـ على والدة صاحب الزمان وخليفة الرحمن وإمام الإنس والجان (عجل الله تعالى فرجه الشريف) ...].

---

(١) إكمال الدين وإتمام النعمة: ص ٤١٨- ٤٢٠.

(٢) إكمال الدين وإتمام النعمة: ص ٤١٨- ٤٢٠.

ملاحظات أمنية :

لومما يلفت النظر: الطابع السري الذي لف القضية بأجمعها :

أ : فالإمام الهادي (عليه السلام) يرسل خادمه الشخصي بعد أن يمضي هوي من الليل، متجنباً بذلك أعين الرقابة ورصد الجواسيس.

ب : ثم يؤكد الإمام (عليه السلام) رغم كل الثقة المتوافرة في بشر، على الطابع السري للقضية، ويصرح بأن الأمر:

(سرّ أطلعك عليه) [1] دون غيرك .

ج : ثم يأمره بـ (الإشراف عن بعد) على (عمر بن يزيد النخاس) عامة النهار، محذراً إياه من الاختلاط بسائر الزبائن، ومن تعرضه للأضواء فترة أطول من الزمن، بل عليه أن يتحرك في ساعة الصفر فقط.

د: ثم يبرمج الإمام (عليه السلام) الأمر بحيث لا يعرف حتى النخاس الجهة التي تريد شراء الجارية، بل إنه (بعض الأشراف) ولا غير، مع إيهام يبعد التفكير عن أي انتساب للإمام (عليه السلام).

فهو قد كتبه (بلغة رومية وخط رومي) وهو قد (وصف فيه كرمه ووفاءه

---

(١) إكمال الدين وإتمام النعمة: ص ٤١٨- ٤٢٠.

ونبله وسخاءه) ثم: (فناولها لتتأمل منه أخلاق صاحبه فإن مالت إليه ورضيته فأنا وكيله في ابتياعها منك).

فرغم أن هنالك اتفاقاً تاريخياً، وقدراً إلهياً محتماً، ورؤياً صادقةً، ومعرفة غيبية بمجريات الأمور وحوادث المستقبل، إلا أن الصيغة التي طرحت بها القضية كانت صيغة عادية، ليس فيها أي طابع إثارة، أو أية إشارة مريبة تكشف عن الموقع الإستراتيجي الهام الذي تحتله هذه الجارية وعن شمس سماء الكون التي ستطل عبر هذه النافذة...].

الأحلام الوردية

[وأخيراً .. و ها هي ذي سيدتنا المهاجرة وإلاميرة.. الأسيرة، وبعد فترة انتظار مرّة وصعبة، تفاجأ بمبعوث الإمام (عليه السلام) وتفاجأ أكثر فأكثر عند ما تصل بيدها رسالة شخصية من الإمام الهادي (عليه السلام) فترى نفسها محلقه في سماء المجد، وترى أحلامها الوردية متجسدة على أرض الواقع وعلى بعد خطوات فقط، فتنفجر بالبكاء الشديد... لماذا ؟.

إنه الخوف الفطري من احتمال عقبات أخرى في الطريق...؟

إنها: لم تكن تخاف من انهيار المشروع وتحطم الوعود ..

كلا وألف كلا،

إنها وعود إلهية حقيقة ومكاشفات أو رؤى صادقة لا تحتمل التشكيك على الإطلاق ...

أو ليس السيد المسيح (عليه السلام) ورسول الإسلام (صلى الله عليه وآله وسلم) وفاطمة الزهراء (عليها السلام) والإمام العسكري (عليه السلام) و... قد تعاهدوها طوال الفترة الماضية، وأتحفوها ببشارة تتلو الأخرى ؟!.

فلماذا البكاء الشديد إذن؟.

ربما للتخوف من بعض التأخير في الأحداث، ومن عرقلة قد يسببها عناد النخاس وإصراره على عدم تسليمها لمبعوث الإمام (عليه السلام) ولذلك

هددته قائلة: (بِعني من صاحب هذا الكتاب، وحلَفَت بالمحرجة المغلظة أنه حيثما امتنع من بيعها منه قتلت نفسها)[1].

وعندما يستسلم النخاس، ويسلمها لمبعوث الإمام (عليه السلام) لنا أن نتصور الحالة النفسية والسعادة الكبرى التي ملأت كيان الفتاة، الأميرة.. الأسيرة، وهي تستشعر - بعد تلك الرحلة المرهقة والتجارب الخطيرة - وصولها إلى بر الأمان، وديعة عند مبعوث الإمام (عليه السلام) وفي يدها رسالة من قبل حجة الله على الأرض، فليس من المستغرب أن نجدها بمجرد الوصول إلى مكان آمن، تستخرج رسالة الإمام (عليه السلام) من جيبها وتلثمه مرة بعد أخرى، وتضعه على خدها، وتمر به على عينيها، وتمسحه على بدنها ...

إنها الرسالة .. الحُلم ...

إنها رسالة الحب والولاء ...

رسالة من والد الحبيب والأمل المشرق في سماء حياتها المستقبلة..

إنها الحقيقة .. الخيال

بل الحقيقة الأسمى من الخيال ...

بل إنها باكورة عطرة لإشراقة نور الإله على جميع الخلائق في عالم الغد...

إنها بشارة مبكرة بولادة قائم آل محمد (عجل الله تعالى فرجه الشريف)...]

---

(١) إكمال الدين وإتمام النعمة: ص ٤١٨- ٤٢٠.

اللقاء الأول

[بعد رحلة السفر الشاقة، وبعد عناء الهجرة ومرارة الأسر، ها هي سيدتنا نرجس (عليها السلام) تصل ـ بعد طول انتظار ـ إلى دار الإمام الهادي (عليه السلام) وفي أول لقاء بين الأميرة .. الأسيرة، وبين والد زوجها المترقب يجري الحوار التالي:

ـ كيف أراكِ الله عزّ الإسلام وذل النصرانية (إشارة إلى انتصار جيوش المسلمين على جيش قيصر ملك الروم وجدّ السيدة نرجس) وشرف أهل بيت محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ؟.

ـ كيف أصف لك، يا ابن رسول الله، ما أنت أعلم به مني؟.

ـ فإني أريد أن أُكرمك، فأيٌ أحب إليك : عشرة آلاف دينار؟ أم بشرى لك بشرف الأبد؟.

ـ بل البشرى.

ـ فأبشري بولد يملك الدنيا شرقاً وغرباً، ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلأت ظلماً وجوراً.

ـ ممن ؟.

ـ ممن خطبك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) له، ليلة كذا، من شهر

كذا، من سنة كذا، (بالتاريخ الرومي)؟.

ـ من المسيح (عليه السلام) ووصيه..

ـ ممن زوّجك المسيح (عليه السلام) ووصيه؟.

ـ من ابنك أبي محمد (الإمام العسكري عليه السلام).

ـ هل تعرفينه؟.

ـ وهل خلوت ليلة من زيارته إياي منذ الليلة التي أسلمتُ فيها على يد سيدة النساء: أمه (عليها السلام) [1].

(١) إكمال الدين ص ٤٢٣ وكتاب الغيبة للطوسي ١٢٨ باختلاف يسير في الالفاظ.

استنتاجات

[تشدنا في هذا الحوار نقاط مضيئة كثيرة، سنشير إلى بعضها إشارة عابرة:

فالإمام الهادي (عليه السلام) يريد أن يركز في الأذهان حقيقة إيمانها العميق بالإسلام، وتبرأها عن ديانة جدها وأبيها: النصرانية، فها هو (عليه السلام) يبتدأ بالسؤال ـ كتجاهل العارف [1] ـ: كيف أراك الله عزّ الإسلام وذل النصرانية، وشرف أهل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)؟.

وها هي ذي تجيب إجابة تتزاوج فيها المعرفة بالأدب، فتكشف عن أدب جمّ، ومعرفة عميقة بمكانة آل بيت الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): (كيف أصف لك، يا ابن رسول الله، ما أنت أعرف به مني)؟.

والعبارة دقيقة، فهي تشير إلى أنه (عليه السلام) أعرف بنفسها منها، وتصرح بأنه أعرف بـ (رؤيتها) ونظرتها لتلك الحقائق منها [2].

ثم ها هو الإمام (عليه السلام) يكشف لنا عن سموها الروحي وعلو

---

(١) راجع كتاب (البلاغة) للإمام الشيرازي (قدس سره).

(٢) وذلك لأن سؤال الإمام (عليه السلام) لم يكن عن مرحلة الثبوت بل عن مرحلة الإثبات، أي إنه لم يسأل عن (الحقيقة = عز الإسلام وذل النصرانية وشرف أهل بيت محمد (صلى الله عليه وآله) بل سأل عن (رؤيتها لتلك الحقيقة) والموصول والضمير في جوابها (ما أنت أعرف به مني) يعود إلى المسؤول عنه مباشرة، وإن كان يحتمل أن تكون العبارة عرفية فيكون السؤال والجواب عن ذات الحقيقة لا عن نظرتها ورؤيتها له، لكنه خلاف الظاهر.

همتها، عبر سؤال آخر يوجهه إليها: (فإني أريد أن أكرمك، فأي أحب إليك، عشرة آلاف دينار، أم بشرى لك بشرف الأبد)؟.

وعشرة آلاف دينار مبلغ ضخم جداً في مقاييس ذلك الزمن، إلا أنها (عليها السلام) ترجح - ودونما أدنى تردد - الكفة الأخرى، ذات الطابع المعنوي، فتقول: (بل البشرى). وإذا دققنا النظر، عرفنا أن الذي يقع في الكفة المقابلة هو مجرد (البشرى) لا غير، فليس (مدلول) البشرى هو الذي وقع في الكفة المقابلة، بل (البشرى) بذاتها [1].

وبعد ذلك نجدها تتساءل: (ممن)؟

إنه تساؤل يهدف إلى تحول (علم اليقين) إلى (عين اليقين)، فهو كطلب إبراهيم (عليه السلام): ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾[2]، وتكشف عن ذلك بوضوح إجابتها اللاحقة: (من ابنك أبي محمد عليه السلام)، فليتأمل.

والحوار يستمر مقصوداً منه تكريس سلسلة من الحقائق التاريخية، وتقرير وتأكيد صدق تلك المكاشفة الخالدة، (التي حدثت لها بعد الإجهاض الغيبي لمشروع تزويجها من ابن أخيه وتساقط الصلبان...)، وصحة كل تلك الرؤى والأحلام التي شاهدت فيها الإمام العسكري (عليه السلام) ذلك أن كل ذلك يكون عندئذ قد حظى بـ (تقرير) الإمام المعصوم (عليه السلام) وكفى بها شهادة وأكبر بها من سعادة].

---

(١) أي ليس المخبر عنه (وهو ذات ولادتها للإمام المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف)) هو الواقع في إحدى كفتي الميزان، بل مجرد (الإخبار عنه) فدقق.

(٢) سورة البقرة: ٢٦٠.

لقاء حار بين امرأتين

[لقد أحبت السيدة حكيمة (عليها السلام) ابنة الإمام الجواد (عليه السلام)، أميرتنا المهاجرة، منذ النظرة الأولى فعند ما دخلت السيدة حكيمة (عليها السلام) على الإمام الهادي (عليه السلام) خاطبها الإمام، مشيراً إلى الوافدة الجديدة التي قدمت للتوّ: (ها هية) ...

إنها هي تلك الفتاة الموعودة وهي ذات الشرف الكبير والمجد الخالد..

وكانت الحفاوة بالأميرة .. الأسيرة كبيرة، وكان اللقاء حاراً بين المرأتين، فقد (اعتنقتها طويلاً) وقد (سرت بها كثيراً)[1].

وسيكشف لنا المستقبل عن علاقات تنضح بالمحبة وتتموج بالاحترام الكبير بين تينك المرأتين العظيمتين : أخت الإمام الهادي (عليه السلام)، وزوجة الإمام العسكري (عليه السلام).

وهنا ـ وبعد لحظات الترحيب الحافلة ـ خاطب الإمام الهادي (عليه السلام) أخته السيدة حكيمة (عليها السلام) قائلاً: (يا بنت رسول الله خذيها إلى منزلك، وعلّميها الفرائض والسنن، فإنها زوجة أبي محمد (العسكري) وأم القائم عليهم السلام)[2].

وهكذا انتقلت السيدة نرجس (عليها السلام) إلى منزل السيدة حكيمة (عليها

---

(١) إكمال الدين: ص٤٢٣، والغيبة: ص١٢٨.

(٢) إكمال الدين: ص٤٢٣، والغيبة: ص١٢٨.

السلام) منذ الساعات الأولى وعندما نتصفح التاريخ نكتشف أن السيدة حكيمة كانت للسيدة نرجس (عليها السلام) خير أُم، كما كانت خير مربية.

فلقد اهتمت بها أكبر الاهتمام، عاطفياً وتربوياً، فملأت بذلك عليها حياتها بالحب والمودة والسعادة، وخفّفت عليها إلى الحد الأقصى آلام الغربة، وعوضتها عن أمها وأبيها وأسرتها بعواطف جياشة ومحبة خالصة واهتمام كبير وتربية نموذجية [1].]

(١) قد جرى الحديث في أماكن متعددة من هذا الكتاب عن نمط العلاقة بين المرأتين الجليلتين، فليراجع.

الزواج المبارك

[وعن الأحداث التي سبقت اقتران السيدة نرجس (عليها السلام) بالإمام العسكري (عليه السلام) وعن اللمسات الأخيرة لذلك الفجر السعيد، تحدثنا السيدة حكيمة (عليها السلام) قائلة:

(...كانت لي جارية يقال لها نرجس، فزارني ابن أخي (الإمام العسكري (عليه السلام)) فأقبل يحدق النظر فيها، فقلت له: يا سيدي لعلك هويتها فأرسلها إليك؟.

فقال (عليه السلام): لا يا عمة، ولكن أتعجب منها (أي: أرى فيها شيئاً عجيباً).

فقلت: وما أعجبك منها؟.

فقال (عليه السلام): سيخرج منها ولد كريم على الله عز وجل، الذي يملأ الله به الأرض عدلاً وقسطاً.

فقلت: فأرسلها إليك يا سيدي؟.

فقال (عليه السلام): استأذني في ذلك أبي.

قالت حكيمة (عليها السلام): فلبست ثيابي وأتيت منزل أبي الحسن (عليه السلام) فسلّمت وجلست، فبدأني (عليه السلام) وقال: يا حكيمة ابعثي نرجس إلى ابني أبي محمد.

فقلت: يا سيدي على هذا قصدتك، على أن استأذنك في ذلك.

فقال (عليه السلام): يا مباركة إن الله تبارك وتعالى أحب أن يشركك في الأجر ويجعل لك في الخير نصيباً.

قالت حكيمة (عليها السلام): فلم ألبث أن رجعت إلى منزلي، وزينتها ووهبتها لإبي محمد (عليه السلام)، وجمعت بينه وبينها في منزلي، فأقام عندي أياماً، ثم مضى إلى والده (عليه السلام) ووجهت بها معه[1]).

ونقتبس ههنا بعض الفقرات، مسلطين عليها بعض الأضواء:

فلربما يتساءل القاري الكريم عن: (فأقبل يحدق النظر إليها) فكيف يمكن أن يقوم الإمام العسكري (عليه السلام) بذلك؟

والجواب واضح، فإن من الثابت شرعاً:

أ: إن الإنسان يحق له أن ينظر إلى المرأة التي يريد الزواج منها ويتفحصها بنظراته[2].

ب: إن الأمة يحل النظر إليها وحتى شتى الاستمتاعات بها عبر (التحليل) من المالك[3]. ومن الواضح وجود (إذن فحوى) في هذا المقام أو الإذن الصريح من الإمام الهادي (عليه السلام) لابنه الإمام العسكري (عليه السلام).

---

(١) إكمال الدين: ص٤٢٦- ٤٢٧.

(٢) راجع موسوعة الفقه: ج٦٢ كتاب النكاح ص١٦٥- ١٧٧ المسألة ٢٦، وفيه: يجوز لمن يريد تزويج امرأة أن ينظر إلى وجهها وكفيها وشعرها ومحاسنها، بل لايبعد جواز النظر الى سائر جسدها ما عدا عورتها، ويجوز تكرار النظر إذا لم يحصل الغرض و هو الاطلاع على حالها بالنظر الأول. وراجع أيضاً (العروة الوثقى) كتاب النكاح المسألة٢٦.

(٣) راجع موسوعة الفقه: كتاب النكاح، وشرح اللمعة ج٢ ص٩٦ الطبعة الحجرية.

ج: ويحق للمرء [1] أن ينظر إلى ما اعتادت الإماء إظهاره من بدنهن نظرة عادية.

د: إضافة إلى عدم وجود دليل على التحديق في الأكثر من الوجه، إذ لعلها (عليها السلام) كانت متقنعة لم يظهر منها إلا وجهها المبارك، والمشهور جواز النظر إلى الوجه والكفين نظرة عادية[2].

ثم يلفتنا في هذا المقطع التاريخي ذلك الأدب النموذجي، فالإمام العسكري (عليه السلام) عند ما تعرض عليه عمته حكيمة (عليها السلام): إرسال السيدة نرجس (عليها السلام) إليه (للزواج منها، أو عبر تحليلها له، أو عبر هبتها له) يجيب الإمام (عليه السلام) قائلاً: (استأذني في ذلك أبي) فعلى الرغم أن الرجل له الحق شرعاً في أن يتزوج وليس رضا الوالد شرطاً [3] إلا أن

---

(١) راجع موسوعة الفقه: ج ٦٢ كتاب النكاح ص ١٧٥- ١٧٦ المسألة ٢٦: وكذا يجوز النظر إلى جارية يريد شراءها، للأدلة المتقدمة من التعليل وغيره، بالإضافة إلى جملة من الروايات الواردة في المقام، كخبر أبي بصير سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن الرجل يعترض الأمه ليشتريها؟ قال (عليه السلام): لا بأس أن ينظر إلى محاسنها ويمسها ما لم ينظر إلى ما لا ينبغي النظر إليه، {الوسائل: ج١٣ ص ٤٨ ب ٢٠ من أبواب بيع الحيوان ح١}. وفي الفقه: ج٦٢ ص ١٧٨ المسألة ٢٧: ..بضميمة النظر إلى أمة الغير... ولذا كان المحكي عن المقنعة والخلاف والنهاية وغيرهم أنهم قالوا: يجوز النظر إلى نساء أهل الذمة و شعورهن لأنهن بمنزلة إماء الإمام، ويدل على جواز النظر إلى أمة الغير السيرة - كما قالوا - ولذا كان المشهور ذلك كما عن المسالك ولبعض الروايات. انتهى. وموسوعة الفقه: ج١٨ ص٧٤- ٧٥ كتاب الصلاة، فصل في الستر و الساتر المسألة ٧: الأمة كالحرة في جميع ما ذكر من المستثنى و المستثنى منه ولكن لا يجب عليها ستر رأسها و لاشعرها ولاعنقها.

(٢) راجع موسوعة الفقه: ج٦٢ كتاب النكاح ص٢٠١ - ٢١٥.

(٣) وإنما يشترط إذن الولي (الوالد أو الجد) بالنسبة إلى البنت الباكر احتياطاً وجوبياً. راجع موسوعة الفقه: كتاب النكاح.

الإمام (عليه السلام) يطلب منها أن تستأذن والده (عليه السلام) في ذلك .

ثم إن (الحياء) يصده عن أن يباشر بطلب ذلك من أبيه مباشرة، فيطلب من عمته حين ذاك العرض أن تستأذن أباه في ذلك .

و(للحياء) قيمة كبرى في الشريعة الإسلامية[1]، ولذا ورد في وصف الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم): (كان أشد حياءً من العذراء في خدرها)[2] ..

إنه (عليه السلام) نموذج الخلق الرفيع السامي، ومظهر من مظاهر طهارة النفس وسلامتها وسمّوها، ويذكّرنا ذلك بـ (حياء) الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) من طلب يد السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) من الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)[3]].

---

(١) راجع سفينة البحار مادة حيي.

(٢) مكارم الأخلاق: ص١٧، مستدرك الوسائل: ج٨ ص٤٦٥ ح١٦ ب١٩٣ باب استحباب الحياء.

(٣) راجع كشف الغمة: ج١ ص٣٥٥ فصل تزويجه فاطمة الزهراء (عليهما السلام).

زوجة ولا غير

[وبعد ذلك ننتقل إلى نقطة أخرى جديرة بالالتفات، فإن تسلسل الأحداث التاريخية أشار لنا:

بأن السيدة نرجس (عليها السلام) قد تعرضت للأسر وهي في بلاد الحرب، ثم اشتراها مبعوث الإمام (عليه السلام) بثمن باهض، بعدها انتقلت إلى دار الإمام الهادي (عليه السلام) فدار السيدة حكيمة (عليها السلام) أخت الإمام الهادي (عليه السلام)].

ومهما تكن البواعث النبيلة الكامنة وراء عملية (الأسر) هذه، ذلك أنها ألقت بنفسها في وثائق الأسر امتثالاً لإمر الإمام العسكري (عليه السلام) إذ كانت هي الطريقة الوحيدة العملية للوصول إلى سامراء، فإنه حسب الشريعة الإسلامية وحسب الشرائع السماوية الأخرى وحسب التقاليد والأعراف السائدة في ذلك اليوم عند كافة الشعوب والأمم، تعد (الأسيرة من ديار الحرب) مملوكة، وذلك حسب شروط مذكورة في الفقه[1].

وكما أباح الله للرجل أن يتمتع بالمرأة عبر صيغة عقد لا تعدو كلمات قلائل، كذلك أباح له ان يتمتع بها عبر عملية الأسر بشرائطها الخاصة، وليس في ذلك أدنى غضاضة ـ شرعياً ـ حسب الديانات السماوية وحسب أعراف عالم ذلك اليوم أيضاً، قال الله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ**

(١) راجع موسوعة الفقة ج ٤٧ ـ ٤٨ كتاب الجهاد وج ٧٢ ـ ٧٣ كتاب العتق والتدبير والمكاتبة.

حَافِظُونَ * إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ [1].

ولقد كانت أمهات عدد من الأنبياء العظام والأئمة المعصومين (عليهم السلام) من الإماء [2].

ولكن .. ورغم كل ذلك، فقد شاءت الإرادة الالهية أن تحيط تلك المرأة المهاجرة بهالة من التقديس والكرامة، وأن تمنحها مزيداً من الإجلال والإكبار.

وهكذا كان ...

[ففي الخطوة الأولى نجد السيدة حكيمة (عليها السلام) (تهب) السيدة نرجس (عليها السلام) و(تهديها) للإمام العسكري (عليه السلام) كما صرحت بذلك في المقطع السابق: (فلم ألبث أن رجعت إلى منزلي، وزينتها ووهبتها لإبي محمد العسكري (عليه السلام))[3].

وفي الخطوة الثانية: نجد الإمام العسكري (عليه السلام) يقوم بـ (عتقها) وتحريرها.

وفي الخطوة الثالثة: يعتقد قرانه عليها وتتم عملية الزواج المبارك.

والذي يدل على هاتين الخطوتين الأخيرتين: تصريح الإمام الهادي (عليه

---

(١) سورة المؤمنون: ٥ ـ ٦.

(٢) راجع الكافي: ج١ ص٣٢٢ ـ ٣٢٣ ح١٤ باب الإشارة والنص على أبي جعفر الثاني (عليه السلام). والكافي: ج٥ ص٣٤٥ ـ ٣٤٦ ح٦ باب آخر من النكاح. والكافي: ج٦ ص٣٥ ح٤ باب التطهير. وإكمال الدين: ج١ ص٣٠٥ ـ ٣٠٧ ح١ باب ٢٧ ما روي عن سيدة النساء العالمين حديث الصحيفة. وعيون أخبار الرضا (عليه السلام): ج١ ص٤٠ ـ ٤١ ح١ باب٦ النصوص على الرضا (عليه السلام) بالامامة.

(٣) إكمال الدين: ص٤٢٧.

السلام) حيث خاطب عمته السيدة حكيمة (عليها السلام) قائلاً : (يا بنت رسول الله أخرجيها ـ أي السيدة نرجس ـ إلى منزلك وعلّميها الفرائض والسنن فإنها زوجة أبي محمد وأم القائم عليهم السلام)[1].

وهذه الرواية صريحة بأن العلاقة كانت علاقة الزوجية بينهما (عليهما السلام) وهي دالة بالدلالة الالتزامية ـ وإن شئت فقل : بدلالة الاقتضاء (وهي ما يتوقف صحة أو صدق الكلام عليه)، أو فقل : بالبرهان الإنّي، إذ الزواج معلول بنحو العلة المعدّة للعتق ـ على عملية العتق سابقةً على عملية الزواج الميمون.

ذلك أن من الواضح أن (الأمة) لا يطلق عليها (زوجة)، بل هما قسيمان كما يظهر بوضوح من الآية الكريمة : ﴿**إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ**﴾[2] ...

وإطلاق عبارة (الأمة) أو (الجارية) ـ على السيدة نرجس (عليها السلام) ـ في بعض الروايات على فرض كونه بعد مرحلة الزواج هذه إنما هو بلحاظ ما كان، ذلك أن إطلاق المشتق على ما مضى بلحاظ حال التلبس حقيقة، ولا بذلك اللحاظ مجاز[3].

وما أغرب حركة التاريخ وتقلبات الزمن ...

فقد كانت السيدة نرجس = ريحانة، حتى الأمس القريب سيدة الإمبراطورية الرومانية، وإذا بنا نجدها في ملابس تنكرية مهاجرة نحو بلاد

---

(١) إكمال الدين : ص٤٢٣ .

(٢) سورة المؤمنون : ٦.

(٣) راجع (الأصول) للإمام الشيرازي (قدس سره).

بعيدة بعيدة، لتقع أسيرة في أيدي طلائع جيوش المسلمين.

ثم ها هي تعرض في الأسواق كـ (أمة) لتنتقل بعدها إلى دار السيدة حكيمة (عليها السلام) لفترة من الزمن، ثم تبلغ القمة في مدارج السعادة والكمال حيث تتزوج حجة الله على الأرض، وتنجب قائم آل محمد (عجل الله تعالى فرجه الشريف).

إنها حركة متواصلة من زهرة الحياة الدنيا نحو مدارج عام القدس ومراقي الكمال والبهاء والجلال.]

وفي منزل الإمام العسكري (عليه السلام) تشدنا إلى السيدة (عليها السلام) ملاحظات عديدة، أشرنا إلى العديد منها في مواضع شتى من هذا الكتاب، وسنشير ههنا إلى واحدة منها:

وهي تلك التشكيلة المتنوعة من (الأسماء) التي أطلقت عليها، فماذا وراء ذلك؟

هذا ماسنشير إليه في البحث القادم بإذنه تعالى.

ماذا وراء التسميات المتكثرة؟[1]

[مما يلفت نظر الباحث: أن السيدة والدة الإمام الحجة (عجل الله تعالى فرجه الشريف) كانت تحمل أسماء عديدة، قاربت العشرة أسماء!

فلقد كان اسمها الحقيقي (مليكة) وإذا بنا نجدها تسمّى بأسماء عديدة أخرى منها: نرجس، ريحانة، سوسن، خمط، سبيكة، حديثة، حكيمة، صقيل أو صيقل، ومريم!

فلماذا كل تلك التسميات؟

ربما يعود السبب إلى "الظرف الأمني" الذي كانت تعيشه السيدة نرجس (عليها السلام) فلقد كانت الظروف بالغة الحساسية، وكانت السلطات متخوفة أشد التخوف من الوليد المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف) الذي سيقمع الله على يديه جبابرة الكفر وعتاة الطغاة، وكانت الأعين ترصد كل حركة في بيت الإمام (عليه السلام) وكان وضع نساء وجواري الإمام العسكري (عليه السلام) أدق وأخطر، وكان أي تردد لذكر السيدة نرجس (عليها السلام) بالذات وأية إشارة تدل على مكانتها وأهميتها ومنزلتها سيعرضها بالذات لخطر مضاعف ولرقابة أشد.

وهكذا كانت التسميات المتعددة.

---

(١) ليلة الجمعة ليلة ٢٧ شوال ١٤١٧هـ.

ولربما كان كل جمع أو عدد من الأفراد، يعرفها باسم معين دون سائر الأسماء، فكان الحضور الحقيقي والدائم لتلك الجوهرة النادرة قد غطي بستار من تشكيلة متنوعة من الأسماء التي تؤمن أقل قدر ممكن من تداول اسمها الحقيقي الذي سيثير مزيداً من الشبهات لو تكرر بشكل متزايد.

والذي يؤيد هذه الملاحظة: أن السيدة نرجس (عليها السلام) كانت تحمل فيما تحمل:

اسم عمة الإمام العسكري (عليه السلام): (حكيمة).

واسم والدة الإمام العسكري (عليه السلام): (حديث)[1] و(سوسن)[2].

واسم والدة الإمام الجواد (عليه السلام): (سبيكة)[3] و(ريحانة)[4] وكل ذلك يؤمن تغطية جيدة لها (عليها السلام).

ويؤيد ذلك أيضاً حالة التكتم الشديد على اسم الإمام الحجة (عليه السلام)، فكما قال النائب الأول للإمام الحجة (عجل الله تعالى فرجه الشريف): (إذا وقع الاسم وقع الطلب، فالله الله اتقوا الله وأمسكوا عن ذلك)[5].

فرعايةً للإمام الحجة (عجل الله تعالى فرجه الشريف) وتكتماً على ولادته كان

---

(١) راجع الكافي: ج١ ص٥٠٣ باب مولد أبي محمد الحسن بن علي (عليهما السلام).

(٢) بحار الأنوار: ج٥٠ ص٢٣٨. ونور الأبصار في أحوال الأئمة التسعة الأبرار، للمحدث الكبير المازندراني (قدس سره).

(٣) راجع الإرشاد للمفيد: ص٢٩٧. وإعلام الورى للطبرسي: ص٣٤٤ ــ ٣٤٥ الباب ٨ الفصل١. ومناقب آل أبي طالب: ج٤ ص٣٧٩. وكشف الغمة: ج٣ ص١٣٤ـ ١٣٥.

(٤) بحار الأنوار: ج٥٠ ص٧. ونور الأبصار في أحوال الأئمة التسعة الأبرار، للمحدث الكبير المازندراني (قدس سره).

(٥) الغيبة، للشيخ الطوسي: ص١٤٧.

لابد من عدم ذكر اسمه أبداً، بل ربما تحريم[1] ذكر اسمه أيضاً، كما في العديد من الروايات[2].

وكان لا بد أيضاً من التغطية على ولادته وعلى والدته أيضاً، ولربما للسبب نفسه كان لأمهات الأئمة الرضا[3] والجواد[4] والهادي[5] والعسكري[6] (عليهم أفضل الصلاة والسلام) أيضاً عدد من الأسماء، حيث إن الطغاة كانوا يتوقعون أن يكون من إحداهن الإمام المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف).

ويؤيد ذلك أيضاً: إنها (عليها السلام) سمت هي بنفسها نفسها بـ (نرجس)

---

(١) هذا على رأي بعض الفقهاء، أما في موسوعة الفقه للإمام الشيرازي قدس سره: ج٩٣ ص١٩٨ ففيه: (تسمية الإمام الغائب عج باسم م ح م د: الظاهر أن تسميته عليه الصلاة والسلام بهذا الاسم ليس بمحرم وإن ذهب إلى ذلك بعض الفقهاء لجملة من الروايات كصحيح ابن رئاب عن الصادق عليه السلام: صاحب هذا الأمر لا يسميه باسمه إلا كافر (وسائل الشيعة: ج١٢ص٤٨٦ ح٤ ب ٣٣) وفي صحيحه الآخر زيادة: لأنكم لاترون شخصه و لا يحل لكم ذكره باسمه، قلت: كيف نذكره؟ قال: قولوا الحجة من آل محمد (الوسائل: ج١٢ ص٤٨٦ ح٦ ب٣٣) إلى غيرها من الروايات الناهية، لكن الظاهر من بعض الروايات أن ذلك في مورد التقية. وفي حسن العمري قال: خرج توقيع بخط أعرفه: من سماني بمجمع من الناس فعليه لعنة الله (الوسائل: ج١٢ص٤٨٦ ح١٣ ب٣٣) وعلى أي حال، فالقول بالحرمة مشكل وإن كان الاحتياط في الترك. انتهى.

(٢) راجع غيبة النعماني: ص١٩٤باب ما جاء في المنع والتوقيت والتسمية لصاحب الأمر (عليه السلام). وإكمال الدين: ص٦٤٨ ح١و٢و٣و٤ ب٥٦. وغيبة الطوسي: ص٤٧٠ ح٤٨٧.

(٣) أمهات الأئمة (عليهم السلام): ص٢١٣ عن العيون للصدوق، وتراجم أعلام النساء.

(٤) أمهات الأئمة (عليهم السلام): ص٢١٩ عن الكافي.

(٥) أمهات الأئمة (عليهم السلام): ص٢٢٧ عن تذكرة الخواص وبحار الأنوار وبحر الأنساب ومرآة الزمان وتاريخ الأئمة (عليهم السلام).

(٦) أمهات الأئمة: ص٢٣٣ عن الأنوار البهية، للشيخ عباس القمي (رحمه الله).

وهو اسم متداول للجواري كي تستر على النخاسين وجمهرة الناس من المشترين وغيرهم أصلها الحقيقي، كما تصرح هي (سلام الله عليها) قائلة: (ولقد سألني الشيخ ـ الذي وقعتُ إليه في سهم الغنيمة ـ عن اسمي، فأنكرته وقلت نرجس، فقال: اسم الجواري)[1].

وهكذا نكتشف أن ظروف التقية واحترازاً من الأعين الراصدة والآذان المرهفة لعملاء بني العباس، وصوناً لتلك الجوهرة القدسية، وتشتيتاً لتمركز الحواس وخلطاً للأوراق، وإعفاءً لأي أثر صارخ، وتضييعاً لمعالم تكشف عن الترابط بين هذه المرأة وذلك الوليد، كل ذلك كان هو السبب الكامن وراء سلسلة من الخطوات الحذرة والاحتياطات الاحترازية التي ربما كان منها تعددية الأسماء ورمزيتها[2].

---

(١) الإمام المهدي من المهد الى الظهور: ص١٢٦ لآية الله الخطيب الشهير السيد محمد كاظم القزويني (قدس سره)، نقلاً عن الغيبة للشيخ الطوسي وإكمال الدين للشيخ الصدوق.

(٢) [ولكن ربما يضعف الاحتمال السابق أن السيدة والدة الإمام زين العابدين (عليه السلام) كانت لها أسماء متعددة أيضاً، منها (شاه زنان، مريم، فاطمة، شهربانو، سلامة، خولّة، غزالة، برّة، جيدة ...) راجع كتاب أمهات الأئمة (عليهم السلام): ص١٩٦- ١٧٢. وربما كانت عادة تعدد الأسماء جارية في الجواري في أعراف تلك الأزمنة، ومن المحتمل أن تكون تسمية السيدة نرجس (عليها السلام) بالأسماء المتعددة، لملاحظات متعددة ظاهرية ومعنوية ـ غير ما ذكرنا في المتن ـ فهي:

(حكيمة) و(حديثة): وفعيلة إما بمعنى الفاعل أو المفعول أوصفة مشبهة بمعنى: محدِّثة أو محدَّثة أو ذات حداثة وجدّة ـ بالنظر للمعنى.

وهي (ريحانة، سوسن، ونرجس): ـ وهي أسماء ورود وأزهار ـ بالنظر إلى الجمال الظاهري، وكذا (سبيكة): فكانها سبيكة ذهب و(خمط) أيضاً اسم لنوع من شجر الأراك له حمل وثمر مأكول، كما قال تعالى: ﴿ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ﴾ (سورة سبأ: ١٦).

وتسمى (صقيل) أو (صيقل): نظراً لذلك النور المبهر الذي علاها بسبب الحمل وفترة ◄

بشائر متتالية

منذ اللحظات الأولى التي حلّت فيها السيدة مليكة = نرجس بنت يشوعا بن قيصر إمبراطور الروم، دار الإمام الهادي (عليه السلام) بدأت البشارات بـ (إشراقة شمس الأكوان) وبـ (ميلاد صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف)) تترى لتملأ كيان السيدة بسعادة لا توصف، وبجلال لا يقاربه

◀ الولادة، كما تقول السيدة حكيمة: (وإذا أنا بها ـ أي بالسيدة نرجس (عليها السلام) ـ وعليها من أثر النور ما غشى بصري وإذا أنا بالصبي ـ أي الإمام الحجة (عجل الله تعالى فرجه الشريف) لحظات ولادته ـ ساجداً على وجهه ...) بحار الأنوار: ج٥١ ص١٣ نقلاً عن إكمال الدين وإتمام النعمة.

و(مريم): بالنظر لانتسابها لشمعون وصي السيد المسيح (عليه السلام)، ولربما كانت هذه التسميات المتعددة صادرة من أفراد متعددين فكل قد سماها بالاسم الذي رآه مناسباً لها لمناسبة معنوية أو ظاهرية، ولذلك كانت من تسمياتها:

(خيرة الاماء) كما سماها الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) (راجع الإمام المهدي من المهد إلى الظهور): ص٧٢ نقلاً عن نهج البلاغة، وراجع الكافي: ج١ ص٣٢٢ ـ٣٢٣ ح١٤ ب١٤ وغيبة النعماني: ص١٥١. وغيبة الطوسي: ص٤٧٠ ح ٤٧٨، وإعلام الورى: ص٣٤٥ باب٨ الفصل٢، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٧ ص٥٨ ـ٦٠.

و(سيدة الإماء) كما سماها الإمام الصادق (عليه السلام) (راجع الإمام المهدي من المهد إلى الظهور): ص٩٢ نقلاً عن إكمال الدين، وراجع إكمال الدين: ج١ص٣١٦ ح٢ باب٢٩ ما أخبر به الحسن (عليه السلام) من وقع الغيبة، وإكمال الدين: ج٢ ص٣٤٥ ـ٣٤٦ ح٣١ باب٣٣ ما أخبر به الصادق (عليه السلام) من وقوع الغيبة. والاحتجاج: ج٢ ص٩ ـ١٠ احتجاج الحسن (عليه السلام) على من أنكر عليه مصالحة معاوية. ـ فليتأمل].

جلال.

ففي اللحظات الأولى لدخولها ـ بعد رحلة السفر الشاقة ومعاناة الأسر المؤلمة ـ دار الإمام (عليه السلام) يخاطبها الإمام قائلاً: (فإني أريد أن أُكرمكِ، فأيما أحب إليكِ: عشرة آلاف دينار، أم بشرى لك بشرف الأبد)؟

قالت: بل البشرى. فقال (عليه السلام): فأبشري بولد يملك الدنيا شرقاً وغرباً، ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً [1].

وعند ما يستدعي الإمام الهادي (عليه السلام) أخته السيدة حكيمة (عليها السلام) لتتعرف على الوافدة الجديدة، يقول لها في الدقائق الأولى: يا بنت رسول الله خذيها إلى منزلك، وعلّميها الفرائض والسنن، فإنها زوجة أبي محمد العسكري وأم القائم (عليهما السلام)[2].

وعندما يزور الإمام العسكري (عليه السلام) عمته السيدة حكيمة (عليها السلام) فيجد في دارها السيدة نرجس (عليها السلام)، يقول لعمته متحدثاً عن السيدة نرجس =ملكية: (سيخرج منها ولد كريم على الله عز وجل، الذي يملأ الله به الأرض عدلاً وقسطاً)[3].

وهكذا كان الأمل يورق ويزهر وينمو ويكبر في صدر الشابة المهاجرة، وكانت آفاق المستقبل تبدو بيضاء، ناصعة البياض، نضرة المحيا، رائعة أخّاذة ... وفي ليلة النصف من شعبان ـ وقبيل مولد النور ـ تتوالى بشائر أخرى مؤكدة ومطمئنة، محطمة بذلك كل الشكوك والوساوس والأوهام].

---

(١) راجع مبحث: (اللقاء الأول) و(استنتاجات) من هذا الكتاب.

(٢) راجع مبحث: (لقاء حار بين امرأتين).

(٣) راجع مبحث: (الزواج المبارك).

الرحم الطاهر

[وبعد فترة من الزمن ... ينتقل "نور الله الأعظم" من صلب الإمامة إلى ذلك الرحم الطاهر...

وتسمو السيدة نرجس (عليها السلام) فوق ذُرى المجد، وتتسامى في مدارج الكمال، وتكون محطةً للبركات الإلهية والعنايات الربانية، وتصقل تلك الروح الطاهرة الشفافة أكثر فأكثر، وتنعكس عليها إشعاعات نور ولي الله الأعظم، وتحلق أكثر فأكثر في آفاق الملكوت، وتزداد قرباً عند خالق البرايا والكائنات، وتسمو وتسمو إلى ما شاء الله.

وإذا كانت أزهار الربيع اليانعة تبعث بأريجها الأخّاذ في الأجواء، وتتموج بروائحها العطرة إلى مدى شعاعي يتناسب مع روعة الورد ونضارته ونوعيته..

وإذا "العالِم المتقي" يتموج بتموجات روحية .. فكرية، حتى دون أن ينطق ببنت شفة، على من يحيط به فيترك تاثيرات إيجابية كبيرة على أية نفس تحمل بعض القابلية والصلاحية، حتى كانت النظرة الواحدة إلى وجه العالم أحياناً كثيرة تحدث تغييراً وقد يكون جذرياً في الكثير من الأرواح، ولذلك كان (النظر إلى وجة العالم عبادة)[1] كما ورد في الحديث.

إذا كان كل ذلك كذلك، فكيف بتلك المرأة القديسة والملاك الطاهر

---

(١) أمالي الطوسي: ص ٤٥٤ ح٢١ المجلس١٦ وفيه: «النظر إلى العالم عبادة».

التي ظلت تحمل في أحشائها وبين حنايا ضلوعها نور الله الأكبر، ولمدة تسعة أشهر وأكثر؟!.

أي (أثـر وضـعي) سـيتركه هـذا (الحمـل المبـارك) علـى تلـك الأُم الطاهرة؟

وأي (سمـو تكـويني) تتعلـق مـشيئة خـالق الأكـوان بإيجـاده في كيـان تلـك المـرأة الـتي أضـحت تغـذي ـ بـدمها وروحهـا وجـسمها ـ: ولـي الله الأعظم؟!].

بين أم المهدي وأم موسى عليهما السلام

وكما تدخلت السماء إعجازياً لـ (إخفاء) حمل أم موسى به (عليه السلام) رغم الرقابة الصارمة، كذلك تدخلت العناية الإلهية غيبياً لـ (إخفاء) حمل السيدة نرجس (عليها السلام) بـ (إمام العصر) (عجل الله تعالى فرجه الشريف) فلم تظهر عليها أية علامة من علامات الحمل ورغم انقضاء عدة أشهر[1]، ورغم الخبرة الكبيرة التي كانت تمتلكها النساء اللاتي تفرغن لاستكشاف ذلك!.

[بل إننا نجد أنه وحتى في ليلة النصف من شعبان عام ٢٥٥ هـ وهي ليلة ميلاد الإمام الحجة (عجل الله تعالى فرجه الشريف)، نجد أن "حمل" السيدة نرجس (عليه السلام) بالإمام الحجة (عجل الله تعالى فرجه الشريف) لا يترك أدنى أثر، بل أي أثر على الإطلاق، حتى أن السيدة حكيمة (عليها السلام) تتساءل من الإمام العسكري (عليه السلام) في تلك الليلة: (ومَن أُمه)؟

فيقول (عليه السلام): (نرجس).

فتقول، ربما مستغربةً: (جعلني الله فداك ما بها أثر)!.

فيقول (عليه السلام): (هو ما أقول لك)[2].

وفي رواية أخرى:

---

(١) راجع اكمال الدين: ج٢ ص٤٢٧ ح٢ باب٤٢ ميلاد القائم (عجل الله تعالى فرجه الشريف).

(٢) سيأتي بيان النص التفصيلي لهذه الأحداث بعد قليل بإذنه تعالى ومن المصادر إكمال الدين وإتمام النعمة: ص٤٢٧.

فقلت: ممن يا سيدي، ولست أرى بنرجس شيئاً من أثر الحبل؟

فقال (عليه السلام): من نرجس لا من غيرها.

قالت: فوثبتُ إليها، فقلّبتها ظهراً لبطن، فلم أر بها أثر حبل، فعدت إليه فأخبرته بما فعلت.

فتبسم (عليه السلام) ثم قال لي: إذا كان وقت الفجر يظهر لك بها الحبل، لأن مثلها مثل أم موسى[1] لم يظهر بها الحبل ولم يعلم بها أحد إلى وقت ولادتها ...).

بل وحتى قُبيل الفجر وقُبيل (مولد النور) بقليل أيضاً...].

وإننا عند ما نقرأ في زيارتها (عليها السلام): «السلام عليكِ يا شبيهة أم موسى (عليه السلام)»[2]، وعندما نجد هذا التشبيه في الروايات: (مثلها مثل اَم موسى)[3] ـ كما سبق ـ ونتأمل عبارة (شبيهة أم موسى) و(مثلها مثل أم موسى) ونستند إلى إطلاقها الأحوالي[4] وإلى القرائن المقامية المكتنفة بالمقام نكتشف أن "الشبه" و"المثلية" لم تكن في "الإخفاء الإعجازي للحمل" فقط.

بل تتعداه إلى المشابهة في (الضغط النفسي الهائل) الذي تحملته كلتا المرأتين إثر الرقابة الصارمة، وخوفاً من احتمال انكشاف الأمر بما قارن ذلك من "ملابسات" الرقابة والحجز، وصبراً على الأذى في ذات الله، ثم المشابهة في الربط على القلب وبعث الطمأنينة في النفس، وكذلك في الاعتصام بحالة

---

(١) إكمال الدين: ج٢ ص٤٢٧ ح٢ باب٤٢ ميلاد القائم (عجل الله تعالى فرجه الشريف).

(٢) مفاتيح الجنان، زيارتها (عليها السلام).

(٣) إكمال الدين: ج٢ ص٤٢٧ ح٢ باب٤٢.

(٤) اصطلاح علمي أصولي، راجع كتاب (الأصول) للإمام الشيرازي (قدس سره).

الكتمان المطلق للسرّ الكبير الذي قلما كان بمقدور امرأة أن تمنع نفسها من البوح به ولأشهر طويلة! وفي جهات أخرى أيضاً.

وعدد من هذه النقاط صرح به أو أشار إليه القرآن الكريم حيث يقول: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلاَ أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

ومن قبل: ﴿وَلاَ تَخَافِي وَلاَ تَحْزَنِي﴾[2].

ومن بعد: ﴿كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلاَ تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ﴾[3].

[وقد صرح الإمام العسكري (عليه السلام) بعدد من أوجه الشبه هذه في قوله مخاطباً السيدة حكيمة (عليها السلام): (يا عمة رديّه ـ أي الإمام المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف) في الساعه الأولى لولادته ﴿إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلاَ تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[4].

ويقول الإمام العسكري (عليه السلام): (لأن مثلها ـ أي السيدة نرجس (عليها السلام) ـ مثل أم موسى لم يظهر بها الحبل ولم يعلم بها أحد إلى وقت ولادتها، لأن فرعون كان يشق بطون الحبالى في طلب موسى وهذا نظير موسى)[5].

ويقول (عليه السلام) أيضاً، مخاطباً السيدة نرجس (عليها السلام) عند ما رأها

---

(١) سورة القصص: ١٠.

(٢) سورة القصص: ٧.

(٣) سورة القصص: ١٤.

(٤) بحار الأنوار: ج٥١ ص١٨ عن كتاب الغيبة للطوسي (قدس سره).

(٥) بحار الأنوار: ج٥١ ص١٣ نقلاً عن إكمال الدين.

تبكي: (اسكني فإن الرضاع محرم عليه إلاّ من ثديك، وسيعاد إليك كما ردّ موسى إلى أمه، وذلك قوله عز وجل: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلاَ تَحْزَنَ﴾[1]).

كما أشارت إليه زيارتها (عليها السلام): (أشهد أنك ... اجتهدت في مرضاة الله، وصبرت في ذات الله، وحفظت سرّ الله... وبالغت في حفظ ولي الله)[2].

وهنالك أوجه شبه عديدة أخرى بين السيدتين، منها:

اضطرار كلتا السيدتين لـ (فراق الوليدين) منذ السويعات الأولى للولادة ـ كما سنرى ـ واللطف الإلهي الذي حظيت به كلتاهما بعد ذلك الوعد الإلهي، بإعادة موسى إلى أمه: ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ ...﴾[3]، وبإنجاز الوعد: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلاَ تَحْزَنَ﴾[4]، وكذلك الوعد الإلهي بإعادة الإمام المهدي (عليه السلام) إلى أمه ثم إنجاز الوعد ـ كما سنرى لاحقاً إن شاء الله ـ.

---

(١) بحار الأنوار: ج٥١ ص١٤.

(٢) مفاتيح الجنان: زيارتها عليها السلام.

(٣) سورة القصص: ٧.

(٤) سورة القصص: ١٣.

مولد النور

[... والآن .. لنستمع إلى أحداث تلك الليلة التاريخية السعيدة ـ ليلة ميلاد قائم آل محمد (عجل الله تعالى فرجه الشريف) ـ ، تحدثنا عن مسلسل الأحداث تلك، السيدة حكيمة (عليها السلام) ابنة الإمام الجواد، وأخت الإمام الهادي، وعمة الإمام العسكري (عليهم أفضل الصلاة وأزكى السلام):

(قالت: بعث إليّ أبو محمد الحسن بن علي (عليه السلام) فقال: يا عمة اجعلي إفطارك الليلة عندنا، فإنها ليلة النصف من شعبان، وإن الله تبارك وتعالى سيظهر في هذه الليلة الحجة، وهو حجته في أرضه).

وفي كتاب الغيبة: (فإن الله عز وجل سيسرّك بوليه وحجته على خلقه، خليفتي من بعدي). وفي رواية: (فإنه سيولد ـ الليلة ـ المولود الكريم على الله عزوجل، الذي يحيي الله عزوجل به الأرض بعد موتها).

قالت (حكيمة): فقلت له: ومن أمه؟ قال لي: نرجس.

قلت له: جعلني الله فداك، ما بها أثر!.

فقال (عليه السلام): هو ما أقول لك.

قالت: فجئت، فلما سلمت وجلست، جاءت تنزع خفي وقالت لي: يا سيدتي وسيدة أهلي كيف أمسيت؟ فقلت: بل أنت سيدتي وسيدة أهلي. فأنكرت قولي وقالت: ما هذا يا عمة ؟ [1].

---

(١) وفي رواية أخرى: (فجاءتني نرجس تخلع خفي، وقالت: يا مولاتي ناوليني خفك، فقلت: بل أنت سيدتي ومولاتي، والله لا دفعت إليك خفي لتخلعيه ولا خدمتيني بل انا اخدمك ◄

فقلت: يا بنية إن الله سيهب لك في ليلتك هذه غلاماً سيداً في الدنيا والآخرة، فجلست واستحيت.

فلما أن فرغت من صلاة العشاء الآخرة، أفطرتُ وأخذتُ مضجعي فرقدت، فلما أن كان في جوف الليل قمت إلى الصلاة، ففرغت من صلاتي وهي نائمة ليس بها حادث، ثم جلست معقبة، ثم اضطجعت، ثم انتبهت فزعة، وهي راقدة، ثم قامت فصلت.

وفي رواية: فوثبت سوسن فزعة، وخرجت وأسبغت الوضوء[1]، ثم عادت فصلت صلاة الليل حتى بلغت الوتر، فوقع في قلبي أن الفجر قد قرب، فقمت لأنظر، فإذا بالفجر الأول قد طلع، فتداخل قلبي الشك من وعد أبي محمد (عليه السلام)، فناداني من حجرته: لاتشكي (وفي رواية: لا تعجلي يا عمة) فإن الأمر قد قرب[2].

فاستحييت من أبي محمد (عليه السلام) ومما وقع في قلبي ورجعت إلى البيت ـ أي الحجرة ـ وأنا خجلة (وفي رواية: فجلست وقرأت ألم السجدة ويس) فإذا هي ـ أي السيدة نرجس (عليها السلام) ـ قد قطعت الصلاة، وخرجت فزعة، فلقيتها على باب البيت (أي الحجرة) فقلت لها: هل تحسين شيئاً ما قلت لك ؟.

قالت: نعم يا عمة، إني أجد أمراً شديداً.

◀ على بصري، فسمع ابو محمد (عليه السلام) ذلك، فقال: جزاك الله خيراً يا عمة. راجع اكمال الدين ٢/٤٢٧ ح ٢ باب ٤٢ ميلاد القائم (عجل الله تعالى فرجه الشريف).

(١) إسباغ الوضوء: إجراء الماء مع الغلبة، لا كالدهن.

(٢) إكمال الدين: ج٢ ص٤٢٥ ح١ ب٤٢ ميلاد القائم (عجل الله تعالى فرجه الشريف).

قلت: اسم الله عليك، اجمعي نفسك، واجمعي قلبك، فهو ما قلت لك، لا خوف عليك إن شاء الله، فأخذت وسادة فألقيتها في وسط البيت وأجلستها عليها وجلستُ منها حيث تقعد المرأة من المرأة للولادة.

فقبضت على كفي وغمزت غمزاً شديداً، ثم أنّت أنّة وتشهدت.

فصاح بي أبو محمد (عليه السلام): اقرئي عليها ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[1]، فاقبلت أقرأ عليها كما أمرني، فأجابني الجنين من بطنها، يقرأ كما أقرأ، ففزعت لما سمعت.

فصاح بي أبو محمد (عليه السلام): لا تعجبي من أمر الله (عزوجل) إن الله (تبارك وتعالى) يُنطقنا بالحكمة صغاراً، ويجعلنا حجة في أرضه كباراً، فلم يستتم الكلام حتى غيبت عني نرجس (عليها السلام) فلم أرها، كأنه ضرب بيني وبينها حجاب، (وفي رواية: ثم أخذتني فترة وأخذتها فترة) فعدوت نحو أبي محمد (عليه السلام) وأنا صارخة.

فقال (عليه السلام) لي: ارجعي يا عمة فإنك ستجدينها في مكانها.

فرجعت فلم ألبث أن كشف الحجاب الذي كان بيني وبينها، وإذا أنا بها وعليها من أثر النور ما غشي بصري، وإذا أنا بولي الله (صلوات الله عليه) متلقياً الأرض بمساجده وعلى ذراعه الأيمن مكتوب: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾[2]، وهو ـ أي الإمام الحجة (عجل الله تعالى فرجه الشريف) حالة سجوده ـ يقول: (أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له،

---

(١) سورة القدر: ١.

(٢) سورة الإسراء: ٨١.

وأن جدي محمداً رسول الله، وأن أبي أمير المؤمنين ولي الله ـ ثم عدّ الأئمة إماماً إماماً إلى أن بلغ إلى نفسه ـ ثم قال: اللهم أنجز لي ما وعدتني، وأتم لي أمري، وثبت وطائي، واملأ الأرض بي عدلاً وقسطاً).

ثم رفع رأسه من الأرض وهو يقول: (شهد الله أنه لا إله إلاّ هو والملائكة وأولو العلم، قائماً بالقسط، لا إله إلا هو العزيز الحكيم، إن الدين عند الله الإسلام).

ثم عطس فقال: (الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله، زعمت الظلمة أن حجة الله داحضة، لو أذن لنا في الكلام لزال الشك).

قالت حكيمة (عليها السلام): فأخذت بكتفيه، فضممته إليّ، وأجلسته في حجري، فإذا هو نظيف منظف، فصاح بي أبو محمد (عليه السلام): هلمي إليّ بابني يا عمة، فجئت به إليه، فأجلسه على راحته اليسرى، وجعل راحته اليمنى على ظهره، ثم أدخل ـ الإمام العسكري (عليه السلام) ـ لسانه في فيه وأمرّ يده على رأسه وعينيه وسمعه ومفاصله، ثم قال: تكلم يا بني!! .

وفي رواية : يا بني انطق بقدرة الله، تكلّم يا حجة الله، وبقية الأنبياء، وخاتم الأوصياء، تكلّم يا خليفة الأتقياء..

فتشهد (عجل الله تعالى فرجه الشريف) الشهادتين، وصلى على النبي والأئمة الطاهرين (عليهم السلام) واحداً واحداً، ثم سكت بعد وصوله إلى اسم أبيه، ثم استعاذ من الشيطان الرجيم وتلى هذه الآية: ﴿**بسم الله الرحمن الرحيم: وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ**

﴿مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾[1].

فناولنيه أبو محمد (عليه السلام) وقال: يا عمة ردّيه إلى أُمه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثر الناس لا يعلمون[2].

(وفي رواية أخرى: ثم قال ـ أي الإمام العسكري (عليه السلام) ـ امضي به إلى أمّه ترضعه ورديه إليّ.. فرددته إلى أمه، وقد انفجر الفجر الثاني، فصليت الفريضة ...)[3]. وفي رواية أخرى: (فتناولته أمه، فأرضعته، فرددته الى أبي محمد (عليه السلام) والطير ترفرف على رأسه...)[4].

وهذه المقاطع التاريخية النادرة تحتوي على كنوز من الحقائق، وتكشف عن مجموعة كبيرة من المعارف والدروس ومكارم الأخلاق والكرامات والألطاف الإلهية الجلية والخفية، وسيستغرق الحديث المتأمل عن كل فقراتها صفحات كثيرة، عسى أن يوفقنا الله تبارك وتعالى للحديث عنها في كتاب قادم ـ بإذنه تعالى ـ عن الإمام المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف) باعتبارها أحاديث تتعلق به (صلوات الله عليه) مباشرة.

وفيما يتعلق بالسيدة نرجس، والدته (عليها السلام)، فقد جرى الحديث في مواضع عديدة من هذا الكتاب، عن عدد من تلك الفقرات التي كانت تتعلق بها مباشرة].

---

(١) سورة القصص: ٦ـ ٥.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلاَ تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ سورة القصص: ١٣.

(٣) الإمام المهدي من المهد الى الظهور: ص١٣٥ ـ ١٤٠، نقلاً عن إكمال الدين: ص ٤٢٧ ـ ٤٢٨، وبحار الأنوار: ج٥١ ص٧١ نقلاً عن غيبة الشيخ الطوسي، وغيرهما.

(٤) إكمال الدين: ج٢ ص٤٢٨ باب٤٢ ميلاد القائم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) ح٢.

نفحات غيبية

[ويكفي الآن أن نشير إلى أن ثمة لمسات غيبية ونفحات ربانية قد شملت السيدة نرجس (عليها السلام) كان لبعضها أبعاد أخرى لا يمكن لنا التوصل إلى كنهها :

أ: فقد (غابت) السيدة نرجس (عليها السلام) من أمام ناظري السيدة حكيمة (عليها السلام) فترة قصيرة من الزمن : (فلم يستتم الكلام ـ إي الإمام العسكري (عليه السلام) ـ حتى غيبت عني نرجس فلم أرها ، كأنه ضرب بيني وبينها حجاب)[1].

فما الذي حدث يا ترى؟.

من المحتمل أن تكون السيدة والدة الإمام المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف) قد (نقلت) اعجازياً إلى عالم آخر ، عالم يسمو فوق مدارك البشرية ، ويرقى فوق حواجز المادّة ، كمرحلة من مراحل الصقل والتطهير والتكامل ، وكبند من بنود ذلك (العطاء الإلهي غير المجدود).

ويؤيد هذا الاحتمال قول الإمام العسكري (عليه السلام) عند ما شاهد عمته تعدو نحوه صارخة من دهشة ما حدث : (ارجعي يا عمة فإنك ستجدينها في مكانها) ، إذ يظهر منه : أنها لم تكن في مكانها من قبل ، فتأمل.

ومن الواضح أن (مقاييس) العوالم الأخرى لا تتطابق مع (مقاييسنا)

---

(١) إكمال الدين : ج٢ ص ٤٢٨ ح٢ باب ٢٢ ميلاد القائم (عجل الله تعالى فرجه الشريف).

المعهودة، فبالنسبة (للزمن) ـ مثلاً ـ وحسب نظرية أنيشتاين، فإنه نظراً لنسبية الزمن، قد تعادل ٨ أيام من أيام الكرة الأرضية ٤ ملايين سنة من السنين لركاب سفينة فضائية انطلقت من الأرض بسرعة دون سرعة النور ـ بسرعة معينة حددها ـ .

وذلك، ربما يفسر مسلسل الأحداث الضخم جداً الذي مر بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في معراجه، مع أنه عند ما رجع الى داره بعد الإسراء كانت لا تزال حلقة الباب تتحرك!!

وهذا يعني أن تلك الجولة الشاملة في السماوات وفي ملكوت الله تعالى وفي الجنة وعلى مقربة من النار و... لم تستغرق في معادلتنا الزمنية إلا لحظات فقط !!

وإذا كانت السيدة نرجس (عليها السلام) قد نقلت في ذلك الفاصل الزمني القصير إلى عالم آخر، فربما كانت معادلة الزمن ـ في مسيرتها التكاملية ـ من هذا القبيل.

وهذا المبحث هو ـ حالياً ـ مجرد احتمال قد يستند إلى ظاهر كلام الإمام (عليه السلام) المنقول سابقاً، والله العالم.

ويمكن الالتزام بالاحتمال الآخر وهو: إن ما حدث كان حجاباً غيبياً أسدل بين المرأتين العظيمتين، في لحظات الولادة تلك.. لماذا؟.

ربما لما يقرب مما ذكر .

ب: كما تستقطب انتباهنا لفتة أخرى هامة جداً، فقد ذكرت السيدة حكيمة (عليها السلام) قائلة: (فرجعت فلم ألبث أن كشف الحجاب الذي كان بيني وبينها، وإذا أنا بها وعليها من أثر النور ما غشى بصري).

أية طاقة نورانية هذه ؟

وأية إشعاعات ربانية؟

وما السر الكامن وراء ذلك النور الذي يغشي البصر؟

وهل هو نور مادي خارق، أم إنه نور ميتافيزيقي؟

كل ذلك مما يستدعي التدبر والتفكير والتحقيق.

وبعد كل ذلك، علينا أن نتدبر في الدلالة العميقة التي تحملها كلمة الإمام العسكري (عليه السلام) مخاطباً عمته السيدة حكيمة (عليها السلام): اقرئي عليها ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[1]، وهذا مما يحتاج إلى مبحث مستقل مستوعب].

(١) سورة القدر: ١.

الفصل الثالث

مدرسة الجهاد والفضائل

مدرسة الجهاد

ليس من السهل أبداً على المرأة أن تعيش وسط أسرة ترفع راية المعارضة ـ جيلاً بعد جيل ـ للحكومات الجائرة..

إنها حينذاك تعيش الخوف والرعب والحرمان والقلق، وحتى المطاردة والملاحقة، وتشهد بعينها جلاوزة السلطان يقتحمون الدار بوحشية، ليختطفوا أباها أو زوجها أو أخاها أو أحد أفراد الأسرة، ولمدة مجهولة!

وإذا كانت المعارضة تتصدى لـ (إمبراطورية جبارة تحكم ثلاثة أرباع الكرة الأرضية)، فإن تلك المعاني ستكون عندئذ أقسى وقعاً، وأعمق أثراً وأبعد غوراً. وإذا كان (أعمدة الأسرة) وكبارها وسادتها قد تعرضوا على مر التاريخ ولما يقارب القرنين من الزمن لعمليات (التصفية الجسدية) والاغتيال بالسم والسجن في ظلم المطامير، ولصنوف من العذاب والحرمان، فإن من الطبيعي أن يكون (جو الرعب) المحيط بتلك الأسرة، والظروف المحيطة بها أشد وأشد وأقسى وأمرّ.

فكيف إذا كان كل ذلك يتم في أجواء ما هو أسوأ من أجواء القرون الوسطى، حيث لا دولة منافسة تضغط، ولا (مجلة) تفضح، ولا إذاعة تدافع، ولا منظمات حقوق الإنسان!!

الضغط السياسي والحصار الأمني

[ولكي نتحسس عمق المأساة وندرك بعمق أكثر مدى صعوبة وخطورة الأجواء التي عايشتها السيدة نرجس (عليها السلام) والعواصف السياسية والأمنية الرهيبة التي كانت تحيط بأسرة الإمام (عليه السلام) وتهدد السيدة نرجس (عليها السلام) بالذات، نتيجة كونها في طليعة من كانت تشير إليها أصابع اتهام السلطات، لابد لكي نعرف ذلك بعمق، من أن نتوقف قليلاً لنسلط الأضواء على الجو السياسي الضاغط والوضع الأمني الخطير الذي كان يحاصر بيت الإمامة وأسرة الإمام (عليه السلام) من كل جانب، والذي كان سهم السيدة النرجس (عليها السلام) فيه هو الأوفر إذ كانت تعاني معاناة مضاعفة.

فهي تعاني أولاً: تموجات الضغط السياسي والخطر الأمني المحدق بزوجها الإمام العسكري (عليه السلام) وابنها الإمام القائم (عجل الله تعالى فرجه الشريف).

وهي تعاني ثانياً معاناة مباشرة وفي الصميم بالنسبة لها شخصياً.

وتكشف لنا إشارات تاريخية سريعة عن جانب من كل ذلك:

أ: فالإمام العسكري (عليه السلام) يبعث برسالة إلى أصحابه يوصيهم بها وصية تحذيرية مؤكدة قائلاً:

(ألا لا يسلمنّ عليّ أحد، ولا يشير إليّ بيده، ولا يومئ، فإنكم

لاتؤمنون على أنفسكم)[1].

ب : يقول الإمام العسكري (عليه السلام) موجهاً الخطاب لـ : داود بن الأسود، وهو واحد من وسائطه السرية، ممن كان يحمل رسائل الإمام الخاصة، بطريقة بالغة السرية[2]: (... وإذا سمعت لنا شاتماً فامض لسبيلك التي أمرت بها، وإياك أن تجاوب من يشتمنا، أو تعرّفه من أنت، فإننا ببلد سوء ومصر سوء...)[3].

ج : ولقد عانى الإمامان الهادي والعسكري (عليهما السلام) أشد العناء من (الإقامة الجبرية) في سامراء، حيث فرضت على الإمام الهادي (عليه السلام) ـ ومعه أعضاء أسرته ـ الإقامة بها لمدة تقارب العشرين عاماً! كان يخضع فيها إلى رقابة مستمرة!.

د : ولقد كان الوضع السياسي والأمني من الخطورة بحيث أخفى الإمام الهادي (عليه السلام) إمامة الإمام العسكري (عليه السلام) بل حتى نسبته إليه أيضاً حتى على كثير من العلويين!.

ومما يدل على ذلك حادثة وفاة ابن الإمام الهادي (عليها السلام) المسمى بالسيد محمد (عليه السلام).

لأجل ذلك أيضاً عدم تصريح الإمام الهادي (عليه السلام) بإمامة الإمام العسكري (عليه السلام) للبعض، وذلك في قضية مذكورة في التاريخ، حيث أعطى البعض علامة تدل ـ بعد وفاته ـ على الإمام من بعده قائلاً:

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص٢٦٩.

(٢) راجع القصة في مناقب ابن شهر آشوب: ج٤ ص٤٢٧.

(٣) مناقب ابن شهر آشوب: ج٤ ص٤٢٧.

(صاحبكم بعدي الذي يصلي عليّ)، قال الراوي: ولم نعرف أبا محمد (العسكري) قبل ذلك[1]!.

و: ولقد سُجن الإمام العسكري (عليه السلام) مراراً عديدة، فكان فترة في سجن صالح بن وصيف، الذي كان قد وكل بالإمام رجلين من شر خلق الله، كما يصرح صالح من وصيف نفسه بذلك، فتحولا بتأثير من الإمام (عليه السلام) عابدين صالحين[2]!

كما سُجن في سجن النحرير الذي كان (يضيق عليه ويؤذيه)[3]. وسُجن (عليه السلام) عند علي بن نارمش وكان (أنصب الناس وأشدهم على آل أبي طالب) لكن هذا الآخر أضحى - بعد أن عاشر الإمام (عليه السلام) قليلاً - لا يرفع بصره للإمام إجلالاً وإعظاماً له!. وأضحى من أحسن الناس بصيرة وأحسن الناس في الإمام قولاً[4]، كما سجن سنه ٢٦٠ هـ عند علي بن جرين[5].

ز: وقد تعرض الكثير من أصحاب الإمام (عليه السلام) ومن ذوي قرابته للسجن والتعذيب وحتى القتل[6].

ح: وكانت (عيون) السلطات وجواسيس الخليفة، تضيق الخناق على الإمام (عليه السلام) وأسرته وأصحابه بشكل مزعج، بل لقد تعدت الأمر إلى رقابة مفضوحة صارخة، وتجاوز (الخليفة) الحد..فها هو يأمر - عند ما بلغه

---

(١) الكافي: ج١ ص٣٢٦ الحديث الثالث.

(٢) بحار الأنوار: ج٥٠ ص ٣٠٨ عن الإرشاد للشيخ المفيد (قدس سره).

(٣) بحار الأنوار: ج٥٠ ص ٣٠٩.

(٤) الكافي: ج١ ص٥٠٨.

(٥) بحار الأنوار: ج٥٠ ص٣١٣ - ٣١٤.

(٦) لمزيد التفاصيل راجع مقاتل الطالبين: ص٤٣١ فصاعداً.

خبر مرض الإمام (عليه السلام)ـ خمسة من جواسيسه بالمكوث في دار الإمام نفسها، ثم بعث عشرة آخرين (بعث بهم إلى دار الحسن (عليه السلام) وأمرهم بلزوم داره ليلاً ونهاراً ...)[1].

ط: ولقد كبست قوات الخليفة العباسي دار الإمام العسكري (عليه السلام) مراراً عديدة، وقامت بتفتيشها بكل دقة ووقاحة، تارة لاعتقاله (عليه السلام) ومن ثم قتله، وأخرى للقبض على زوجته الحبلى...[2].

ي: وقد قام طغاة بين العباس بمحاولات عديدة للقضاء على الإمام العسكري (عليه السلام)، وقد خططوا لذلك، وتم إعداد السيناريو المطلوب مراراً عديدة، إلا أن يد الغيب تدخلت لتنقذ حياته (عليه السلام) إعجازياً.

فها هو (المستعين العباسي) يأمر حاجبه بإخراج الإمام (عليه السلام) من سامراء، ليقتله في الطريق المتجه للكوفة [3]. وها هو مرة أخرى يخطط لقتله (عليه السلام) بـ (بغلة) شموس شرسة[4].

وهذا هو (المهتدي بالله)، كان قد (صحح العزم على قتل أبي محمد العسكري(عليه السلام))[5].

وهذا هو (المعتمد العباسي) يلقي بالإمام (عليه السلام) في بركة السباع ويتركه وسط الأسود المفترسة ثلاثة أيام كاملة [6].

---

(١) إكمال الدين: ص٤٢- ٤٣. والغيبة: ص١٣١- ١٣٢.

(٢) يوم الخلاص: ص٨٧. والتدقيق سيمنع التوهم الخاطئ.

(٣) الإرشاد للشيخ المفيد: ص٣٤٥.

(٤) ألقاب الرسول وعترته: ص٢٣٧.

(٥) بحار الأنوار: ج٥٠ ص٣١٣.

(٦) بحار الأنوار: ج٥٠ ص٣٠٩.

يقول الإمام العسكري (عليه السلام) حين ولد الإمام الحجة (عجل الله تعالى فرجه الشريف): (زعم الظلمة أنهم يقتلونني، ليقطعوا هذا النسل، فكيف رأوا قدرة القادر)[1]؟.

في هذه الأجواء وفي مثل هذه الظروف، عاشت السيدة نرجس (عليها السلام)، ترى أيّة حياة هذه، وأية أعصاب حديدية بل وفولاذية تستطيع تحمل كل هذا العناء؟].

نعم .. في مثل هذه الظروف التحقت .. السيدة نرجس= ريحانة، بأسرة الإمام الهادي (عليه السلام) وتزوجت من الإمام العسكري (عليه السلام) وحملت بالإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) ولم تكتف (سلام الله عليها) بدور (المتفرج)، ولا بنوع من المشاركة الوجدانية، ولا ببعض المساهمة العملية، بل إنها حملت على أكتافها ـ وهي في مقتبل العمر ـ مسئولية ثقيلة جداً يعجز عن حملها عمالقة الرجال، بل اضطلعت بدور رئيسي واستراتيجي كاد أن يكون فريداً من بين كل أعضاء الأسرة، فكانت في الصبر والصمود مثالية، وفي الاستقامة ومواصلة المسيرة نموذجية، وفي (الكتمان والمحافظة على الأسرار) ممن لا يشق لها غبار، وفي (التضحية) المثال الأعلى[2]، ومن مصاديق قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾[3]. كما كانت في (امتلاك المقدرة على التعامل مع الأحداث والأشخاص وحتى السلطات) حكيمة ورائعة ـ كما تكشف الأحداث عن ذلك ـ .

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص٣١٤.

(٢) ليلة ١٩ / رجب / ١٤١٧هـ.

(٣) سورة التوبة: ١١١.

على خطى فرعون

فلقد كانت السلطات تعيش هاجس الخوف الكبير وتستشعر ـ رغم ما تملكه من جيوش وسلطة تغطي أكثر الكرة الأرضية ـ (قلقاً بالغاً) من (الوليد المنتظر) و(القائم بالسيف) (عليه السلام) المبشر به على لسان رسول الإسلام (صلى الله عليه وآله وسلم) وسائر الأنبياء العظام (عليهم السلام)، والمحدد حسب متواتر الروايات بأنه الثاني عشر من آل البيت، وابن الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) بالضبط، وكانت السلطات العباسية على علم بذلك.

وكما كان فرعون يعلم بأن نبياً يسمى موسى (عليه السلام) سيولد في فترة زمنية محددة، على ما أنبأه (المنجمون)، كذلك كان العباسيون يعلمون بأن إماماً يسمى باسم الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، ويلقب بـ "المهدي" سيولد في فترة زمنية محددة.

وكما كان فرعون يتخوف من النبي موسى (عليه السلام) كان العباسيون يتخوفون من الإمام المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف).

وكما كان فرعون يعشق " الرئاسة " إلى حد العبادة، كان العباسيون ..

وكما كان فرعون ينكر الحقيقة ويمقتها وهو عالم بها علم اليقين، كان العباسيون كذلك ممن ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾[1].

---

(١) حول هذا الموضوع راجع كتاب (المهدي في السنة) لآية الله العظمى السيد صادق الشيرازي دام ظله.

ولذلك وعلى ضوئه قام العباسيون بنفس الخطوة التي قام بها فرعون، فقد وضعوا الأرصاد والعيون والجواسيس لاستكشاف أية إشارة تنم عن "الوليد المنتظر"، ومن ثم القضاء عليه وهو في (المهد)، بل وحتى وهو حمل في رحم أُمه!!.

رقابة واعتقال

وهكذا خضعت دار الإمام العسكري (عليه السلام) للرقابة المشددة المضاعفة، وتعرضت نساء الأسرة لرصد مكثف، وكانت السيدة نرجس (عليها السلام) ذات السهم الأوفر من الرقابة الصارمة، فقد سلطت عليها الأضواء بصورة مكثفة ومزعجة، بل تطور الأمر إلى اعتقال مهذب وحضاري! لها حيث اعتقلت[1] ونقلت قسراً ـ وبطريقة الشنق الحريري! ـ إلى إحدى البيوت ولمدة طويلة خضعت لرقابة دائمة، ولربما على مدار الساعة من قبل نساء قيضن خصيصاً للاضطلاع بهذه المهمة الخطيرة! ..

نعم اعتقلت وهي حبلى وأودعت غياهب السجن[2]...

ولكن لماذا كان (الاعتقال مهذباً وحضارياً)؟.

لعل السبب كان يعود الى التخوف من ملك الروم[1] والتخوف أيضاً من

---

(١) يوم الخلاص: ص٨٧.

(٢) يوم الخلاص: ص٨٧.

مخاطر انتفاضة شعبية ضد أي تحرك سلطوي حاد وعنيف تجاه زوجة الإمام العسكري (عليه السلام) بما كان يملكه من مكانة شعبية كبيرة، بل حتى داخل أجنحة الأسرة المالكة.

٢: [والشواهد على ذلك كثيرة، منها: ما حدث بعد وفاة الإمام العسكري (عليه السلام) حيث (عطلت الأسواق وركب بنو هاشم والقواد - أي قادة الجيش - والكتاب وسائر الناس إلى جنازته فكانت سرمن راى - وهي حينذاك عاصمة العباسيين - يومئذ شبيهاً بالقيامة، فلما فرغوا من تهيئته بعث السلطان إلى أبي عيسى بن المتوكل فأمره بالصلاة عليه[٢]...)].

فكان في (الاعتقال المهذب) جمعاً بين الأمرين.

ويمكننا أن نتصور "الحالة النفسية" لامرأة تربت في بيت الملوكية ثم صاهرت بيت الإمامة الربانية وهي حبيسة سجينة، بعيداً عن أسرتها وبيتها، خائفة أشد الخوف على الإمام المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف)، تعيش فترة طويلة في المعتقل تحت رقابة صارمة لا ترحم...

---

(١) لم نجد فيما بأيدينا من التواريخ في هذه العجالة إشارة إلى أية خطوط رابطة بين السيدة (نرجس= مليكة) وبين جدها قيصر وأبيها يشوعا وأمها، منذ هجرتها سلام الله عليها من الروم حتى وفاتها، كما لا يوجد مؤشر يدل على أن السلطات العباسية، بل وحتى الخواص من الشيعة - عدا موارد نادرة كبشر بن سليمان النخاس - كانت على علم بشخصية السيدة نرجس وانتسابها بملك الروم، وإن كان من غير المستبعد بالنسبة للنقطة الأولى أن تكون سلام الله عليها قد مدت نوعاً من الجسور الرابطة بينها وبين أبيها وجدها، ووضعتهم في الصورة خلال سنوات إقامتها في سامراء.

(٢) إكمال الدين: ص٤٣.

التحلي بالصمت والكتمان

[لقد تألقت السيدة (نرجس= مريم) (عليها السلام) في بُعد آخر هو في غاية الأهمية، بُعد يفتقده أكثر الناس، ويعجز عن تحمل وطأته ـ في بعض درجاته ـ حتى عمالقة الرجال ...

إنه بُعد "التحلي بالصمت والكتمان" و"المحافظة على الأسرار ذات الخطورة الكبرى" وما أكثر الحركات التي نُسفت، والثورات التي أُجهضت على مرّ التاريخ نتيجة عدم التحكم الكبير في ميل الإنسان بطبعه لـ (الثرثرة)! ونتيجة (الإذاعة)... فها هو الإنسان (الثائر) يطمئن إلى صديقه، وها هو المفكر الحركي يثرثر لـ (زوجته) ... وهكذا تتواصل الحلقات لتبلغ مسامع السلطات!!.

ويكفي لكي نعرف مدى خطورة ذلك، ومدى الأثر التخريبي الذي ألحقته (الإذاعة) بمسيرة أهل بيت الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)، يكفي أن نستمع إلى الرواية التالية عن الإمام الصادق (عليه السلام): (... فوالله لقد قرب هذا الأمر فأذعتموه، فأخره الله) [1].

ويقول الإمام الباقر (عليها السلام): (ولو أن العلماء ـ أي الأئمة (عليهم السلام) ـ وجدوا من يحدثونه ويكتم سرهم لحدثوا ولبثّوا الحكمة، ولكن قد ابتلاكم الله عز وجل بالإذاعة، وأنتم قوم تحبوننا بقلوبكم، ويخالف ذلك

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٢ ص١١٠ وفي ص٣٨٩ نفس الرواية بأكملها عن الإمام الصادق عليه السلام.

فعلكم ... ما لكم لا تملكون أنفسكم؟...)[1].

وسر " الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف)" هو من أعظم الأسرار وأخطرها على الإطلاق، فمن ذا الذي يتحمل هذا السر ويعتصم مع ذلك بالكتمان المطلق؟ .

إن الغالبية شبه المطلقة لم تكن تتحمل حتى معرفة الاسم، ولم تكن تتحلى بالمقدرة حتى على كتمان ذلك ـ وهو من أبسط الدرجات ـ فكيف بالمراتب الأسمى والدرجات العليا؟.

ويكفى لمعرفة ذلك: الاستماع إلى الرواية التالية:

يقول أبو عبد الله الصالحي : سألني أصحابنا بعد مضي أبي محمد العسكري (عليه السلام) أن أسأل عن الاسم والمكان، فخرج الجواب: (إن دللتهم على الاسم أذاعوه، وإن عرفوا المكان دلوا عليه)[2]. وذلك رغم الروايات العديدة الدالة على: (ملعون ملعون من سمّاني في محفل من الناس)[3].

وإذا عرفنا ذلك عرفنا مدى عظمة السيدة (نرجس = سوسن) (عليها السلام)، ومقدرتها الهائلة على تحمل ذلك السر الكبير.. الكبير، والخطير الخطير، ومعرفتها لا تقتصر على الاسم والمكان فحسب، بل تتجاوزها بالكثير الكثير...[4].

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٢ ص٣٨٩ .

(٢) بحار الأنوار: ج٥١ ص٣٣ باب النهي عن التسمية.

(٣) بحار الأنوار: ج٥١ ص٣٣ باب النهي عن التسمية.

(٤) لقد تحدث المؤلف عن هذا الموضوع في عدة مواضع من هذا الكتاب، منها مبحث (المستودعة أسرار رب العالمين) وكذلك مبحث (الامتحان المصيري) ومبحث (واسطه الفيض الإلهي) وغيرها، فراجع.

الامتحان المصيري

وبعد كل ذلك نجد الميزتين التاليتين تتلألأن بين مواصفات السيدة نرجس (عليها السلام).

فلقد ورد في زيارتها: (أشهد أنكِ أحسنتِ الكفالة، وأدّيتِ الأمانة)[1].

ويا لها من شهادة، وما أعظمها من سعادة، وما أخطرها من (أمانة).

إن أحدنا ليؤتمن على بعض المال فيخون، وإذا لم يخن في الأموال خان في ما هو أعظم منها، فكم من عظيم خان (الأمة) و(أعظم الخيانة خيانة الأمة)[2] وإن الإنسان ـ إلاّ من عصمه الله ـ هو ذلك الذي وصفه تعالى بقوله: **﴿إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنّه كان ظلوماً جهولاً﴾**[3].

وإذا علمنا أن (بلعم بن باعورا) الذي آتاه الله تعالى الاسم الأعظم قد سقط في هذا الامتحان[4]، وإذا كان (الزبير بن العوام) الذي كان سيفه سيفاً طالما كشف الكرب عن وجه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد فشل في

---

(١) مفاتيح الجنان: زيارة السيدة نرجس عليها السلام.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٢٦ رسائل امير المؤمنين عليه السلام. ومستدرك الوسائل: ج٧ ص٧٣ ح ٨.

(٣) سورة الأحزاب: ٧٢.

(٤) راجع سورة الاعراف: ١٧٥، قال تعالى **﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾**. و(قصص الانبياء) للجزائري: ص ٣٥٢ ـ ٣٥٦ باب ١٢ الفصل العاشر من قصة موسى عليه السلام.

معترك الابتلاء الإلهي، وإذا كان فطاحل الواقفية، وأمثال الشلمغاني[1] ـ ممن كانوا من أبرز وكلاء المعصومين (عليهم السلام) ـ قد انتهى بهم المطاف إلى الصفر المطلق في سجلات أعمالهم وملفات حياتهم وامتحانهم.

إذا علمنا كل ذلك، علمنا مدى صعوبة الامتحان الإلهي وخطورته، وعلمنا أن المقدرة على تمزيق شباك الشيطان وتحدي مجمل الشهوات والأهواء المودعة في الإنسان، ومواجهة كافة تسويلات النفس الأمارة بالسوء[2]، وعدم الإستسلام لها، وتحدي زهرة الحياة الدنيا وزخرفها وزبرجها وزينتها، ومن ثم (النجاح في الامتحان الإلهي الكبير) هو أسمى الأمنيات، وهو الشرف الكبير والمجد الخالد.

وكان امتحان السيدة (نرجس= ملكية) عليها السلام صعباً غاية الصعوبة، خطيراً غاية الخطورة، فقد أودعت أعظم أمانة، تحمّلها ـ أو نظائرها ـ قلائل فقط على مر تاريخ البشرية، لقد أودعت (سرّ الله الأعظم، وحجة الله على كافة الأنام، والوسيط بين رب العالمين وسائر المخلوقات على الإطلاق) وما أعظمها من وديعة وما أخطرها من مسؤولية .

وإذا كان (النجاح في الامتحان) ذا درجات ومراتب، فإنها (عليها السلام) نالت الدرجة العليا والمرتبة الأسمى، ومن ثم حصلت على (الشهادة المُثلى) فلقد (أحسنت الكفالة، وأدت الأمانة)[3].

---

(١) راجع جامع الرواة: ج٢ ص١٥٤ح ١١٦٠ ومستدرك الوسائل: ج١٢ ص٣١٩ ـ ٣٢١ ح٩ ب٣٧: وجوب البراءة من أهل البدع وسبهم وتحذير الناس منهم.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ سورة يوسف: ٥٣.

(٣) مفاتيح الجنان: زيارة السيدة نرجس عليها السلام.

وبذلك (توجت) سلسلة نجاحاتها التاريخية في كافة الامتحانات الإلهية الكبرى التي مرت بها:

فقد نجحت في امتحان أن تبقى طاهرةً، نزيهةً، بل و(قدّيسةً) في خضم عالم الملوكية، وزخارف الحياة المادية التي فتحت عينيها عليها.

ونجحت في اتخاذها القرار المصيري بـ (الهجرة)، وفي مفارقة الأهل والأحبة، وفي تعريض نفسها للأسر.

كما نجحت في تسلق مدارج الكمال بسرعة نموذجية منذ أن دخلت بيت الإمام الهادي (عليه السلام).

وكما نجحت أيضاً في ثلاثة من أخطر الامتحانات الإلهية التي يمكن لبشر أن يمر بها، حيث (استودعت أسرار رب العالمين) و(قامت "بتكفل" حجة الله على الخلق أجمعين) ومن ثم فقد (أدّت الأمانة لأهلها) حتى كانت الشهادة لها بـ (اجتهدتِ في مرضاة الله، صبرتِ على الأذى في ذات الله، حفظتِ سر الله، بالغتِ في حفظ حجة الله، أحسنتِ الكفالة، وأديتِ الأمانة، مضيتِ على بصيرة من أمرك، مقتديةً بالصالحين، رضي الله عنكِ وأرضاكِ و ..)[1] أشرف وسام، وأهنأ عطاء، وأجمل قلادة، وأحلى شهادة ..

ومن المحتمل أن تكون (الأمانة) التي (تحملتها) ثم (أدتها) السيدة نرجس (عليها السلام)، هي من قبيل الأمانة التي أودعت للسيدة زينب الكبرى (عليها السلام) بعد استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) ولفترة من الزمن ريثما تسلمها الإمام السجاد (عليه السلام) فتأمل.

---

(١) مفاتيح الجنان: زيارة السيدة نرجس عليها السلام.

فكانت صاحبة (العصمة الصغرى) كما ذهب إلى ذلك ـ بالنسبة الى السيدة زينب (عليها السلام) ـ العديد من العلماء .

فتكون ـ على هذا الاحتمال ـ هنالك أمانة كبرى سلّمها الإمام الهادي (عليه السلام) أو الإمام العسكري (عليه السلام) للسيدة نرجس (عليها السلام)، ريثما تسلمها للإمام الحجة (عجل الله تعالى فرجه الشريف)، ولربما كانت أمانة شفوية أو ودائع النبوة التي كان يتوارثها نبي عن نبي، ثم إمام عن إمام، أو أدوار عملية شديدة السرية، أو ما يقرب من ذلك ...

وهذا ما يستشعر من كلمة (أدّيتِ الأمانة)، مع أنه ربما يقال: بالاستبعاد البدوي لأن يكون المراد بـ (الأمانة) نفس (الإمام الحجة عليه السلام) إذ تؤديه لمن؟. وربما يعضد هذا الاحتمال ـ وأؤكد أنه مجرد احتمال والأمر بحاجة إلى تحقيق ـ بعض الحوادث التاريخية التي تشير إلى (إيداع الإمام الصادق (عليه السلام) أو غيره من الأئمة (عليهم السلام)) لعدد من أهم (الوثائق السرية) ـ أو الودائع النبوية ـ في فترات زمنية معينة كان يحتمل فيها مداهمة دار الإمام وتفتيشها، لبعض الثقات.

ويؤيد هذا الاحتمال، بل ربما يدل عليه الفقرة السابقة التي تم الحديث عنها سابقاً: (المودعة أسرار الملك العلام) و: (المستودعة أسرار رب العالمين)[1]، فلعل المراد من الأمانة التي أدتها (عليها السلام) هي تلك (الأسرار) التي (أودعت) عندها، ريثما تسلمها لأهلها، وعملية الإيداع هذه يمكن أن تكون عبر واحد من المعصومين (عليهم السلام) كما سبق، أو بطريقة الإلهام أو ما أشبه ذلك، والله العالم.

---

(١) مفاتيح الجنان، زيارة السيدة نرجس (عليها السلام).

الامتداد التاريخي

وأخيراً..

فلقد كانت السيدة نرجس (عليها السلام) في اضطلاعها بتلك الأدوار - وبمهام عديدة أشرنا لها في جوانب من الكتاب - قد أشبهت السيدة خديجة الكبرى (عليها السلام) في كثير من الجوانب والجهات:

فقد تخلت عن مركزها الحساس ضمن دائرة الأسرة المالكة لتلك الإمبراطورية، لصالح الإمامة، كما تخلت السيدة خديجة الكبرى (عليها السلام) عن "مركزها الاجتماعي الخطير ضمن دائرة المجتمع المكي الأرستقراطي" لصالح الرسالة.

وقد تخلت السيدة نرجس (عليها السلام) عن "حياة البذخ والثراء" كما تخلت السيدة خديجة (عليها السلام) عن ثرواتها الطائلة.

وقد رغبت في وصلة أبناء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كما رغبت السيدة خديجة (عليها السلام) في وصلة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكانت (الرغبة متبادلة بين الطرفين) في كلتا المرأتين.

وكما رغب الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) في الزواج بخديجة (عليها السلام) حيث رغبت به، كذلك رغب (صلى الله عليه وآله وسلم) في زواج حفيده: الإمام العسكري (عليه السلام) بالسيدة نرجس (عليها السلام) فقد (رغب

في وصلتها محمد صلى الله عليه وآله وسلم سيد المرسلين)[1].

وقد تحملت الحصار السياسي والضغط الاجتماعي، كما تحملت السيدة خديجة (عليها السلام) كل ذلك.

وعايشت مخاطر قتل الإمام المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف) كما عايشت السيدة خديجة (عليها السلام) مخاطر اغتيال النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم).

وعانت من متاعب ومصائب (الحجز) و(الحصار) كما عانت السيدة خديجة (عليها السلام) من حصار (شعب إبي طالب) الرهيب.

وآثرت هوى أبناء رسول الله (عليهم السلام) على هواها - كما ورد في زيارتها[2] - أكبر الإيثار، كما آثرت السيدة خديجة (عليها السلام) هوى رسول الله (صلى الله عليه وآله) على هواها أكبر الإيثار.

وقد (بالغت في حفظ حجة الله)[3] كما بالغت السيدة خديجة (عليها السلام) في حفظ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

وقد (حفظَتْ سرّ الله) و(صَبَرَت على الأذى في ذات الله)[4] كما قامت السيدة خديجة الكبرى (عليها السلام) بكل تلك المهام والأدوار من قبل[5].

فكانت (عليها السلام) بكل ذلك تعتبر امتداداً تاريخياً لذات المسيرة التاريخية الكبرى، التي بدأتها أم المؤمنين السيدة خديجة الكبرى (عليها سلام الله).

---

(١) مفاتيح الجنان: زيارة السيدة نرجس عليها السلام، حيث رغبت بذلك.

(٢) مفاتيح الجنان: زيارة السيدة نرجس عليها السلام.

(٣) مفاتيح الجنان: زيارة السيدة نرجس عليها السلام.

(٤) مفاتيح الجنان: زيارة السيدة نرجس عليها السلام.

(٥) هناك وجوه شبه أخرى بين السيدتين الجليلتين نشير لها في موقعها المطلوب بإذنه تعالى.

وكانت (عليها السلام)[1] أيضاً امتداداً تاريخياً لذات المسيرة الجهادية الجبارة التي اضطلعت بأداء أدوارها الرئيسية السيدة زينب الكبرى (سلام الله عليها):

فكما تعرضت السيدة زينب (عليها السلام) (للأسر) كذلك كانت السيدة نرجس (عليها السلام) في الجوهر والمضمون، وإن اختلفت طريقة (الأسر) وهيكليته[2].

وكما ظلت السيدة زينب (عليها السلام) طوال فترة الأسر متماسكة النفس، رابطة الجأش، قمةً في الصمود والاستقامة، نموذجاً أسمى للشموخ والعظمة والجلال، كذلك كانت السيدة نرجس= حكيمة (عليها السلام).

وكما قامت السيدة زينب (عليها السلام) بواحد من أكبر المهام الاستراتيجية الكبرى على مر التاريخ عند ما حافظت ـ وبشجاعة وحكمة فريدة ـ على حياة الإمام السجاد (عليه السلام) في الحادثة الشهيرة في مجلس ابن زياد، كذلك قامت السيدة نرجس (عليها السلام) بـ (الحفاظ) على حياة الإمام الحجة (عجل الله تعالى فرجه الشريف) عبر التحلي بكتمان لا نظير له، وبصمود نفسي جبار، وبحكمة فريدة في طريقة التعامل مع الأعداء لتضليلهم...

---

(١) ظهر ١٩/ رجب/١٤١٧هـ.

(٢) تعرضت للأسر أولاً عند هجرتها (عليها السلام) من الروم إلى المدينة، وتعرضت ثانياً لما يضارع ذلك عندما حملت بالإمام الحجة (عجل الله تعالى فرجه الشريف) واحتجزت كما سبق.

مناقبيات أخرى

تستوقفنا في حياة السيدة نرجس (عليها السلام) أحداث ذات دلالة كبيرة جداً، رغم الحجم الصغير جداً الذي احتلته من صفحات التاريخ، وهي أحداث ودروس وفضائل تصلح أن تكون لنا نعم الدليل والمرشد والمصباح المنير في مسالك الحياة:

صلاة في السحر

[ففي الشهر الأخير من الحمل، وفي الليلة الأخيرة ـ وهي أصعب ليلة تمر على المرأة الحامل ـ تقوم صلوات الله عليها، أواخر الليل، وفي وقت السحر لـ (تسبغ الوضوء) ـ وإسباغ الوضوء بإجراء الماء مع الغلبة لا كمسح الدهن[1] ـ ثم بعد ذلك تنطلق لتغرق في مناجاة طويلة مع خالق الكون عبر ركعات صلاة الليل، حتى إذا بلغت ركعة الوتر ـ وهي الركعة الحادية عشرة ـ كان الفجر الأول قد أوشك أن ينبلج، وهذا التاريخ يحدثنا:

تقول السيدة حكيمة (عليها السلام) ـ عمة الإمام العسكري (عليه السلام) ـ وهي شاهد العيان الوحيد الذي عايش السيدة نرجس (عليها السلام) ليلة (مولد النور) لحظة بلحظة:

(فوثبت سوسن ـ أي السيدة نرجس (عليها السلام) ـ فزعةً، وخرجت وأسبغت الوضوء، ثم عادت فصلت صلاة الليل حتى بلغت الوتر، فوقع

---

(١) راجع كشف الغطاء: ص١٠٠.

في قلبي أن الفجر قد قرب، فقمت لأنظر، فإذا بالفجر الأول قد طلع...)[1].

إنها ساعات إشراقة شمس حياة جديدة، وما أجدرها بأن تحاط بهالة روحانية ربانية سامية، وبان تندمج وتصهر في بوقعة الارتباط بعالم القدس والملكوت.

تكريس العلاقة بالله

وننتقل بعدها إلى درس جديد:

ففي لحظات الولادة وهي (عليها السلام) تعاني آلام المخاض ووضع الحمل، وفي قمة الألم وهي (تجد أمراً شديداً) على حد تعبيرها (عليها السلام) فتمسك بكف قابلتها ـ السيدة حكيمة (عليها السلام) عمة الإمام العسكري (عليه السلام) ـ وها هي تغمز كفها غمزة شديدة وتئنّ ولا تنسى في تلك اللحظات الصعبة والألم يعتصر كيانها بأكملته أن تهتف ـ وهي تحس بالوليد المنتظر (عليه السلام) ينسل من أحشائها ـ بشهادة أن لا إله الله..[2].

إنها القمة في الفناء في الله، وتفويض الأمر إليه، والتسليم لأمره جل وعلا (لا إله إلا الله)، إنها اللحظات التي تكشف عن أعماق المخزون الفكري، وعن شحنات مراكز اللاوعي والوعي الباطن، وعن مدى عمق الرابطة بين الإنسان والرب في الأعماق السحيقة من النفس، وكما يقول

---

(١) بحار الأنوار: ج٥١ ص١٧ باب١ نقلاً عن غيبة الشيخ الطوسي (قدس سره).

(٢) بحار الأنوار: ج٥١ ص١٨.

الحكماء وعلماء النفس: فإن الإنسان يخضع في المنعطفات الكبرى واللحظات الخطيرة لنداء خفي يمتد إلى أعماق ذاته ومجاهيل شخصيته، وهو الذي يسير دفة حياة الإنسان آنئذٍ، وهو الذي يكشف عن جوهرة الإنسان وعن كُنه حقيقة أحاسيسه ومشاعره لتطفو على السطح على شكل كلمات أو إشارات أو قرارات ومواقف آنية حاسمة.]

عفاف وشجاعة وصمود[1]

[ويستوقفنا أيضاً: عفافها (عليها السلام) وحياؤها وشدة تسترها واحتشامها وصمودها وشجاعتها ...

فرغم أن (الأسيرة) في أعراف ذلك الزمن قليلة الاحتشام، بل ربما حاول الكثير منهن إبراز مفاتنهن كيما يصطدن أثرى المشترين وأكثرهم أرستقراطية.

ورغم أن الأعراف تقضي للبائع بالحق في إبراز بعض ملامح أو مفاتن الجارية، وتقضي للمشتري بالحق في استعراض المظاهر العامة، بل ربما حتى لمس جسد الأمة المعروضة للبيع[2]، إلا أن السيدة نرجس (عليها السلام) ترفض بإباء حتى من أن تقع الأعين عليها.

فهي (عليها السلام) (تمتنع من السفور ومن العرض) وتمتنع من الانقياد لمن

---

(١) ليلة الجمعة ليلة ٢٧/شوال/ ١٤١٧هـ.

(٢) فإنه يجوز اللمس مع الحاجة فيما يجوز النظر من الوجه ومحاسنها. راجع شرح اللمعة: ج١ ص٣٣٤ الطبعة الحجرية.

يحاول أن يشغل نظره بتأملها[1]، وتدفع الضريبة والثمن غالياً فتنهال عليها ضربات النخاس، إلا أنها لا تستسلم، بل تستنجد صارخة: (واهتك ستراه)[2].

ثم هي بعد ذلك صابرة، وصامدة، ومتحدية أيضاً!.

فعندما يحاول أحد المبتاعين (أي المشترين) أن يتملكها رغم كل شيء، فيدفع ثمناً أعلى بكثير من الثمن الذي يطمح به النخاس كي يبيعها له دون تردد، تجيب متحدية: (لو برزت في زي سليمان بن داود وعلى مثل سرير ملكه ما بدت لي فيك رغبة، فأشفق على مالك)[3]!.

إنها أوقعت بنفسها في وثائق الأسر لهدف محدد، وبتخطيط الإمام العسكري (عليه السلام) فهي تنتظر مبعوث الإمام (عليه السلام) كي ينقذها من هذا الوضع ويبتاعها من النخاس ليذهب بها إلى دار حجة الله على الأرض.

فهي إذن على بصيرة من أمرها، وهي أيضاً تمتلك من العزم الراسخ ما تستطيع به أن تتحدى شوامخ الجبال.

وهكذا نجدها تواجه النخاس بكل قوة، وتهدده أيضاً بأنه إن لم يبعها لـ (بشر بن سليمان) ـ مبعوث الإمام العسكري (عليها السلام) ـ فإنها ستقتل نفسها وتحلف له على ذلك بالأيمان المغلظة[4]!!.

وهو تهديد ذو فعالية كبيرة لا يبقى معه للنخاس خيار إلا أن يخضع، إذ

---

(١) كتاب الغيبة، للشيخ الطوسي (قدس سره): ص ١٢٥، وإكمال الدين وإتمام النعمة: ج٢ ص٤١٩- ٤٢٠ الباب ٤١، بأدنى اختلاف في العبارات.

(٢) كتاب الغيبة: ص١٢٥، إكمال الدين: ج٢ ص ٤١٩ ـ ٤٢٠.

(٣) كتاب الغيبة: ص١٢٥، إكمال الدين: ج٢ ص ٤١٩ ـ ٤٢٠.

(٤) كتاب الغيبة: ص١٢٥، إكمال الدين: ج٢ ص ٤١٩ ـ ٤٢٠.

أنها لو نفذت التهديد فإنه سيفقد ثروة طائلة وربما سيتعرض لمؤاخذة ولإحراجات كثيرة ...

وهي (عليها السلام): بصيرة وعالمة بمستقبل حياتها، وبما قدره خالق الكون لها، فليس ذلك الوعيد منها إلاّ إنذاراً ولا غير!].

ثقافة مبكرة

[لقد تميزت السيدة نرجس (عليها السلام) بشغف كبير ورغبة جارفة نحو (العلم والثقافة والآداب) منذ نعومة أظفارها..

فعلى الرغم من أن غالب النساء في تلك العصور كن يعشن مرحلة ما تحت الصفر في الثقافة والتعليم.

وعلى الرغم من أن الأطفال لا أشق عليهم من الدراسة المنظمة خاصة إذا كانوا من عوائل مرفهة قد تفتحت لها آفاق شتى الألعاب، فكيف إذا كانت بنتاً مدللة لواحد من أكثر ملوك الأرض جاهاً وثراءً وبرجوازية.

على الرغم من كل ذلك نجد السيدة ملكية = نرجس (عليها السلام) منذ طفولتها تلتزم أكبر الالتزام بالبرنامج التثقيفي الذي برمجه لها جدها قيصر ملك الروم، فها هي تتعلم مختلف (الآداب)، وها هي تلتزم بالدراسة صباحاً ومساءً عند امرأة خبيرة ترجمانة كان من مهامها تعليمها اللغة العربية، حتى أضحت السيدة نرجس (عليها السلام) تتكلم بلغة الضاد بطلاقه وفصاحة أيضاً ولما تبلغ الثالثة عشرة من العمر[1]!.

---

(١) الغيبة: ص١٢٨، وإكمال الدين: ج١ ص٤٢٣.

وفي الحوار الذي دار بينها (عليها السلام) وبين (بشر بن سلميان) أكبر الدليل على أنها ـ وهي ابنة ١٣ سنة ـ كانت تتحدث باللغة العربية بجودة وتتقن قواعد الفصاحة والبلاغة أيضاً [١].

إضافة الى تصريحها (عليها السلام) بذلك حيث تقول: (حتى استمر عليها ـ أي على العربية ـ لساني واستقام)[٢].

وبعد ذلك: وعند ما تحل بدارة القدس ومنزل الإمامة، ومنذ اللحظات الأولى لوفود الزائرة .. المهاجرة، نجد الإمام الهادي (عليه السلام) يستدعي السيدة حكيمة (عليها السلام) ـ وهي ذات العقل الراجح والعلم الغزير النافع ـ ويعهد إليها بمهمة تعليم (الأميرة..الأسيرة) شرائع الإسلام، قائلاً: (يا بنت رسول الله، خذيها إلى منزلك وعلّميها الفرائض والسنن، فإنها زوجة أبي محمد وأم القائم (عليهما السلام)).

ولنا أن نستكشف من هذا التعليل: (فإنها زوجة أبي محمد وأم القائم عليهما السلام) الدرجة الرفيعة التي ينبغي أن تبلغها السيدة نرجس (عليها السلام) في مراحل تعلمها للفرائض والسنن وحتى تتناسب مع منزلتها كزوجة لحجة الله على الأرض وكوالدة لخاتم الأوصياء وسيد الأكوان (عجل الله تعالى فرجه الشريف)].

---

(١) راجع الحوار بأكمله وكذلك مقاطع مسابقة ولاحقة أيضاً من أحاديثها في كتاب الغيبة: ص ١٢٨- ١٢٥، وإكمال الدين: ج١ ص٤١٩- ٤٢٣، وراجع حوارها مع السيدة حكيمة (عليها السلام) وغيره أيضا.

(٢) إكمال الدين: ج١ ص٤٢٣.

الفصل الرابع

الانتصارات الكبرى
والأسلحة الاستراتيجية

القيادة والمسئولية [1]

على نوعية (القيادة) تدور رحى الشقاوة أو السعادة.

و(نمط القائد) هو الذي يحدد مسيرة الأُمة ويقودها نحو مدارج الكمال أو مستنقعات الرذيلة والضلال.

إلا أن (القائد) بدوره لا يمكن أن يعيش في فراغ، أو أن يصول بيد جذاء، فهو (كالعقل) تماماً بحاجة إلى (أذرع) وأعضاء وأنصار وأجناد.

وإذا كان الجهل مخيماً على جمهرة الناس، وإذا كانت (الشهوات) واللذائذ الحسية المادية (من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة)[2] هي التي تسير دفة حياتهم الفردية والاجتماعية، وإذا كان التفكير الأناني والمصلحي الضيق هو سيد الموقف وهو الإله الذي يعبد من دون الله، وإذا كانت الرذائل الأخلاقية (كالجبن والخوف والحسد والتباغض والتحارب والتفرقة والمكر والخداع و...) هي الهواء الذي يستنشقه الناس وهو الماء وهو الروح السارية في أعماق وجودهم ومناهج حياتهم، فإن من الطبيعي أن يفرز كل ذلك (قيادة شيطانية مستبدة طاغية تتخذ مال الله دولاً

---

(١) ليلة ٢١/ رجب/ ١٤١٧هـ.

(٢) سورة آل عمران: ١٤.

وعباده خولاً)[1]، إذ (كيف ما تكونوا يولّى عليكم)، وهذه القيادة الشيطانية تفرز بدورها مزيداً من الشرانق الخانقة وتقود (الشعب) أكثر فأكثر نحو مستنقعات الرذيلة والانحطاط، وتدقع بعجلة الأمة وبسرعة متزايدة نحو الأعماق السحيقة.

وهنا.. تتضاعف بشكل خطير مسؤولية: الأذرع والأعضاء والجنود والأنصار الذين (نذروا) أنفسهم للتصدي (للقيادة الشيطانية) والدفاع عن (القيادة الربانية).

(١) راجع نهج البلاغة: قصار الحكم ٦٢. وتحف العقول: ص١٦٨ باب حكم الإمام الحسن (عليه السلام) ومواعظه. وإعلام الورى: ص٣٥ باب أخباره (صلى الله عليه وآله) بما سيحدث. ومستدرك الوسائل: ج١٧ ص٣٠٩ ح٦ باب ١٠ من أبواب صفات القاضي. وشرح النهج لابن أبي الحديد: ج٣ ص٥٦ ذكر المطاعن التي طعن بها على عثمان.

معارك ضارية

وكلما كان عدد هؤلاء أقل، كان عليهم أن يتحملوا أعباء أكثر، وأن يحاربوا على عدة جبهات في وقت واحد:

أ: فهناك معركة مع (الأهواء والشهوات) التي تلهبها الغرائز والنفس الأمارة بالسوء، وتزيدها تأججاً شباك قوى الطاغوت المعدة خصيصاً لاصطياد (جنود القيادة الرسالية) عبر سلسلة ذهبية براقة من الإغراءات.

ب: وهناك معركة أخرى ضد (الخوف من الحرمان، والملاحقة والاضطهاد) الذي يواجه جموع الثائرين.

ج: وهناك معركة ثالثة لإزاحة ظلمات (الجهل) الذي يلف الناس ويقضي على الحقيقة، ويسدل الستائر والحجب على واقع (القيادة الرحمانية).

د: ومعركة رابعة ضد (الناصحين الجبناء) و(الأصدقاء ـ الأعداء).

هـ: وأخيراً المعركة مع قوى الطاغوت مباشرة، ووجهاً لوجه.

وفي كل معركة من هذه المعارك نجد ـ على مر التاريخ ـ كثيراً من جنود الحق قد سقطوا صرعى (الأهواء) أو (الخوف) أو (الضغط الاجتماعي) أو (النصيحة الأخوية) أو غير ذلك.

وقلّ من صمدوا طوال حياتهم إزاء كل هاتيك الأعاصير.

وكان (السر الكبير) وراء هذا الانتصار الصعب، يكمن في (الأسلحة)

التي امتلكوها وطوروها على مر الزمن، وفي (المناقبيات) التي ما فتئوا يرعونها ويغذونها وبشكل متواصل.

وكان (الموقع الخطير) و(الخندق الأول) الذي احتلته أم خاتم الأوصياء (عجل الله تعالى فرجه الشريف) يجعلها في الرعيل الأول بل في طليعة الرعيل الأول الذي تعرض لهاتيك الأعاصير، وكانت (الأسلحة) التي تمتلكها و(المواصفات والمناقبيات) التي تتحلى بها، هي التي أهّلتها لأن تخرج من تلك الغمرات شامخة ظافرة منتصرة...

أسلحة استراتيجية

ولنا أن نتساءل الآن بشغف ورغبة لا تضارع، عن تلك (الأسلحة) وهاتيك المواصفات، علّنا ننهل من ذلك المنهل العذب ونقتدي بتلك المرأة.. الأنموذج، والحقيقة.. الحلم.

١: سلاح المعرفة[١]

أ: سلاح المعرفة و(عدّة) الاستبصار، ليس هنالك شيء من المبالغة في الحديث القائل: (نوم العالم أفضل من عبادة الجاهل)[٢].

ذلك أن العلم والمعرفة نور يضيء الدرب، ويكشف عن وجه الحق، ويكشف عن زيف الباطل، وعن (تلبيس إبليس)، وعن ذلك (القناص) الذي شرع أسلحته لـ (اصطياد) المستضعفين: المستضعفين فكرياً وعلمياً وثقافياً.

إن (المعرفة) تهب المرء روح الطمأنينة ومضاء العزم عند ما تكشف له عظيم الأجر وخطير الوزر، (فهم والجنة كمن قد رآها، فهم فيها منعمون،

---

(١) ظهر ٢١ / رجب / ١٤١٧هـ.

(٢) مكارم الأخلاق: ص٤٤١ في وصاياه (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام) وفيه: (نوم العالم أفضل من عبادة العابد الجاهل).

وهم والنار كمن قد رآها فهم فيها معذبون)[1].

وعندما تكشف (العواقب المرة والنتائج الحلوة) لكل من أتباع طريق الهُدى ومسارب الضلال في الحياة الدنيا وفي الآخرة، فهي التي تكشف (الداء) وتفصح عن (الدواء) وهي التي تعصم المرء ـ على حسب مراتبها وبعونه تعالى ـ من اقتراف الخطيئة أو ارتكاب الفاحشة، إذ هي التي ترسم أمامه بدقة ـ مثلاً ـ صورة الحياة الدنيا، لتريه بوضوح أنها (جيفة وطلابها كلاب)[2] ! وأنها (تغرّ وتضرّ وتمرّ)[3]، وأنها (لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد)[4] وتكشف.. وتكشف .. وتكشف...

ومعرفة (القيادة الربانية) ـ بحقوقها ومواقفها ومناهجها ومكانتها ـ تكفل كل ذلك، وفوق ذلك. فليس بعد ذلك مما يصعب على الفهم تقبل ما ورد في شأن زيارة السيدة فاطمة المعصومة (عليها السلام) ومن قبلها الأئمة الأطهار (عليهم السلام) ـ (من زارها عارفاً بحقها وجبت له الجنة)[5].

---

(١) راجع امالي الصدوق: ص ٤٥٨ ح٢ المجلس٨٤.

(٢) راجع شرح نهج البلاغة: ج١٩ ص٢٩١ باب الأقوال الحكيمة في وصف الدنيا وصروفها وفيه (الدنيا جيفة فمن أراد منها شيئاً فليصبر على معاشرة الكلاب).

(٣) راجع نهج البلاغة: قصار الحكم ٤١٥. وفيه (الدنيا تغر وتضر وتمر).

(٤) راجع سورة الحديد: ٢٠.

(٥) مستدرك الوسائل: ج١٠ ص٣٦٨ ح٣ ب٧٤ استحباب زيارة فاطمة بنت موسى بن جعفر (عليهم السلام) بقم. ثواب الأعمال: ص٩٨. وأما ما ورد في زيارتهم (عليهم السلام): (من زارهم عارفاً بحقهم) فكثير، منها: الكافي: ج٢ ص١٨٣- ١٨٤ ح١ باب المعانقة. والكافي: ج٤ ص٥٨٠ ح١ باب فضل زيارة أبي عبد الله الحسين (عليه السلام). ومن لا يحضره الفقيه: ج٢ ص٣٤٦ ح١١ ب٢١٧ ثواب زيارة النبي والأئمة (عليهم السلام). ثواب الأعمال: ص٨٥ ثواب من زار قبر الحسين (عليه السلام). تهذيب الأحكام: ج٦ ص٢١ ح٦ ب٧ فضل زيارته (عليه السلام). وسائل الشيعة: ج١٠ ص٢٩٤ ح٣ أبواب المزار وما يناسبه. ◄

وكانت (مليكة الدنيا والآخرة) قد اتسمت بهذه السمة وتميزت بهذه المكرمة وتحلت بهذه الصفة، بشكل لا يشق له غبار، ولذلك كله ورد في زيارتها نعتها بـ (الصديقة)[1]، وبأنها (عارفة بحق أبناء رسول الله) ـ كما سيأتي بعد قليل إن شاء الله ـ .

ومن الواضح لدينا عند استكشاف ذلك أن نراها (سلام الله عليها) مالكة لأهم سلاح يواجه به الإنسان كافة التحديات والصعاب والعقبات والأخطار التي تواجه مسيرة (المجاهدين في سبيل الله) .

فإن (المعرفة) تمنح الإنسان ـ إضافة إلى ما سبق ـ : الرضا بما يقدمه من عطاء عندما تتجلى له عظمة الهدف وسمو المقصد، وتمنحه الصبر على ما يلاقيه من أذى عند ما يرى عظيم المذخور له من الأجر، وتمنحه (الاجتهاد) في المحافظة على (الودائع) و(الأمانة)، وفي بذل النفس والنفيس للدفاع عن (خليفة الله في الأرض)، وفي زيارة السيدة نرجس (عليها السلام) نجد العبارات الثلاثة التالية ببريقها الأخّاذ ومعانيها الدقيقة تفصح عن هذه الفضيلة السامية :

(...أشهد أنكِ ... بالغتِ في حفظ حجة الله، ورغبتِ في وصلة أبناء رسول الله، عارفةً بحقهم... معترفةً بمنزلتهم، مستبصرةً بأمرهم..).

◀ والوسائل: ج١٠ ص٣١٨- ٣٢٦ ح١و٣و٦و١٩و٢١ أبواب المزار وما يناسبه. مستدرك الوسائل: ج١٠ ص٢٣٣ ح٥ ب٢٥ من أبواب المزار وما يناسبه، والمستدرك: ج١٠ ص٢٣٦و٢٤٩- ٢٥١ و٢٦٨ و٢٧١ و٢٧٤و٢٧٧ و٢٨٢ و٢٨٦ و٢٩٢ و٢٩٦- ٢٩٨ و٣١٠ و٣٥٦ و٣٥٩ باب ٢٥ و٣٣ و٣٤ و٣٦ و٣٧ و٤٣ و٦٧ و٦٣ و٦٧ من أبواب المزار وما يناسبه .

(١) مفاتيح الجنان: زيارة والدة الإمام الحجة (عجل الله تعالى فرجه الشريف).

وما أعظم (حق) آل رسول الله (عليهم السلام) ؟! .

وما أجلّ (منزلتهم)؟!.

وما أصعب (أمرهم)؟!.

وما أسمى وأجمل أن (يعرف) الإنسان حقهم علينا وعلى كافة الخلائق، و(يعترف) بمنزلتهم عند الله تعالى وفي منظومة عالم الإمكان كلها و(يستبصر) بأمرهم.

ولكي نعرف (موقع) كل من هذه العبارات الثلاثة، والشحنة المعنوية التي تحملها، والفرق بين كل منها، كي نكتشف إثرها عمق الشهادة للسيدة نرجس (عليها السلام) بهذه الجمل الثلاثة ـ لابد أن نشير الى:

أ. حقوق آل الرسول عليهم السلام:

فهم[1] (نور الأخيار، وهداة الأبرار، وحجج الجبار، بكم فتح الله، وبكم يختم الله، وبكم ينزل الغيث، وبكم يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، وبكم نفّس الهمّ والبكم، ويكشف الضر).

وهم الذين (فاز الفائزون بولايتكم، بكم يسلك الى الرضوان، وعلى من جحد ولايتكم غضب الرحمن...)

(وبكم أخرجنا الله من الذل، وفرّج عنا غمرات الكروب، وأنقذنا من شفا جرف الهلكات من النار).

---

(١) هذا المقطع والمقاطع اللاحقة مقتبس من زيارة الجامعة الكبيرة التي صرح المجلسي (رحمه الله) بأنها أفضل الزيارات الجامعة من جهة المتن والسند والفصاحة والبلاغة.

(بموالاتكم علّمنا الله معالم ديننا، وأصلح ما كان فسد من ديننا، وبموالاتكم تمت الكلمة، وعظمت النعمة، وائتلفت الفرقة، وبموالاتكم تقبل الطاعة المفترضة).

ب. مكانة آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم:

وهم: (قادة الأمم، وأولياء النِعَم، وعناصر الأبرار، ودعائم الأخيار، وساسة العباد، وأركان البلاد، وأبواب الإيمان، وأُمناء الرحمن).

وهم: (ورثة الأنبياء، والمثل الأعلى، والدعوة الحسنى، وحجج الله على أهل الدنيا، والآخرة والأولى).

وهم: (أئمة الهُدى، ومصابيح الدُجى، وأعلام التُقى، وذوي النُهى، وأولي الحِجى، وكهف الوَرى).

وهم: (محالّ معرفة الله، ومساكن بركة الله، ومعادن حكمة الله، وحفظة سر الله، وحملة كتاب الله، وأوصياء نبي الله، وذرية رسول الله صلى الله عليه وآله).

وهم: (الدعاة إلى الله، والأدلاء على مرضاة الله، والمستقرين في أمر الله، والتامين في محبة الله، والمخلصين في توحيد الله، والمظهرين لأمر الله ونهيه، وعباده المكرمين).

وهم: (أهل الذكر، وأولي الأمر، وبقية الله، وخيرته وحزبه، وعيبة علمه، وحجته وصراطه، ونوره وبرهانه).

ولهم: (المودة الواجبة، والمقام المحمود، والشفاعة المقبولة)[1].

ج. أمر آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم[2]

ورد في الحديث: (إنّ أمرنا صعب مستصعب، لا يحتمله إلا ملك مقرب، أو نبي مرسل، أو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان)[3].

فماذا يعني هذا (الأمر) الصعب المستصعب، والذي عدّ الاستبصار به من أهم مناقب السيدة والدة الإمام المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف)؟

إن الأمر هو (ولاية آل البيت عليهم السلام) و(إطاعتهم) و(التسليم بما ورد عنهم وتفويض كافة الأمور إليهم) وهو ـ بعبارة أجمع ـ كل ما يمت إلى أهل البيت (عليهم السلام) بصلة، سلباً أو إيجاباً، قولاً وفعلاً وتقريراً، علماً وعملاً، ظاهراً وباطناً، سراً وجهراً.

كما نلاحظ هذا الإطلاق الأحوالي والأزماني[4] في قوله تعالى:

---

(١) راجع زيارة الجامعة في كتاب (من لا يحضره الفقيه): ج٢ ص٣٧٠- ٣٧٥ ح٢ ب٢٢٥ ما يجري من القول عند زيارة جميع الائمة (عليهم السلام). و(عيون أخبار الرضا عليه السلام): ج٢ ص٢٧٢- ٢٧٧ ح١ باب الزيارة الجامعة. و(تهذيب الأحكام): ج٦ ص٩٥ ـ ١٠١ ح١ ب٤٦ زيارة جامعة لسائر المشاهد. و(مفاتيح الجنان) و(الدعاء والزيارة): الزيارة الجامعة الكبيرة.

(٢) ليلة ٢٢/ رجب/ ١٤١٧هـ، ولا نزال في الزنزانة ٦٠١ وإلى الله المشتكى وبآل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) نتوسل، وبالإمام الحجة (عجل الله تعالى فرجه الشريف) وبأمه (عليها السلام) نقسم.

(٣) راجع بصائر الدرجات: ج١ ص٤٦ ح١ باب١٢ في أن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) أمرهم صعب مستصعب.

(٤) اصطلاح في علم الأصول، راجع كتاب (الأصول) للإمام الشيرازي (قدس سره).

﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللهِ﴾[1]، وهم وسائط الله وخلفاؤه، و(الوسيلة) التي أمرنا الله أن نبتغيها في قوله تعالى: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾[2]، والاستبصار بأمرهم يستلزم الالتزام بالنقاط الآتية التي أشارت إليها الروايات والأدعية التالية:

(...واجعلنا ممن يأخذ بحُجزتهم، ويمكث في ظلهم، وأعنّا على تأدية حقوقه ـ أي الإمام الحجة (عجل الله تعالى فرجه الشريف) ـ إليه والاجتهاد في طاعته واجتناب معصيته...)[3].

(اللهم اجعلني من أنصاره وأعوانه، والذابين عنه والمسارعين إليه في قضاء حوائجه، والممتثلين لأوامره، والمحامين عنه، والسابقين إلى إرادته، والمستشهدين بين يديه ...)[4].

(... اللهم اسلك بنا على يديه منهاج الهدى، والمحجة العظمى، والطريقة الوسطى ... واجعلنا في حزبه، القائمين بأمره، الصابرين معه، الطالبين رضاك بمناصحته ...اللهم واجعل ذلك لنا خالصاً من كل شك وشبهة ورياء وسمعة، حتى لا نعتمد به غيرك، ولا نطلب به إلاّ وجهك...)[5].

(السلام على الذين من والاهم فقد والى الله، ومن عاداهم فقد عادى

---

(١) سورة غافر: ٤٤.

(٢) سورة المائدة: ٣٥.

(٣) مفاتيح الجنان: دعاء الندبة.

(٤) مفاتيح الجنان: دعاء العهد.

(٥) مفاتيح الجنان: الأمر الرابع في الدعاء المروي عن الإمام الرضا عليه السلام للإمام الحجة (عج).

الله، ومن عرفهم فقد عرف الله، ومن جهلهم فقد جهل الله، ومن اعتصم بهم فقد اعتصم بالله، ومن تخلى منهم فقد تخلى من الله عزوجل، وأُشهد الله أني سلم لمن سالمتم، وحرب لمن حاربتم، مؤمن بسركم وعلانيتكم، مفوض في ذلك كله إليكم، لعن الله عدو آل محمد من الجن والإنس، وأبرؤ إلى الله منهم)[1].

(... أنتم الصراط الأقوم، وشهداء دار الفناء وشفعاء دار البقاء، والرحمة الموصولة، والآية المخزونة، والأمانة المحفوظة، والباب المبتلى به الناس، من أتاكم نجى ...)[2].

(... موالٍ لكم ولأوليائكم، مبغض لأعدائكم، ومعادٍ لهم ... محقق لما حققتم، مبطل لما أبطلتم، مطيع لكم، عارف بحقكم، مقر بفضلكم، محتمل لعلمكم، محتجب بذمتكم، معترف بكم، مؤمن بإيابكم، مصدق برجعتكم، منتظر لأمركم، مرتقب لدولتكم، آخذ بقولكم، عامل بأمركم، مستجير بكم، زائر لكم، لائذ عائذ بقبوركم...)[3].

إلى غير ذلك..

وبعد هذه الجولة السريعة نكتشف (عمق) الشهادة للسيدة نرجس (عليها السلام) بـ: (أشهد أنك ... عارفة بحقهم ... معترفة بمنزلتهم، مستبصرة بأمرهم)[4].

---

(١) مفاتيح الجنان: الزيارة الجامعة الأولى نقلاً عن الشيخ الصدوق (قده).

(٢) مفاتيح الجنان: الزيارة الجامعة الثانية الكبيرة.

(٣) مفاتيح الجنان: الزيارة الجامعة الثانية الكبيرة.

(٤) مفاتيح الجنان: زيارة والدة الإمام القائم (عجل الله تعالى فرجه الشريف).

كما عرفنا شيئاً من الفرق الدقيق بين الجمل الثلاثة، ونكون بذلك قد سلطنا الأضواء على جانب من جوانب عظمه السيدة "مليكة = ريحانة" (عليها السلام) ومنزلتها ومكانتها، ونكون قد ركزنا على عامل من أهم العوامل التي منحت السيدة نرجس (عليها السلام) تلك المقدرة الهائلة على التحمل والتصدي والصبر والصمود والاستقامة والتضحية بكل شيء لصالح (القيادة الربانية).

٢: الإيمان الراسخ

ليس كل من يعلم ويعرف (مؤمناً) .

وليس كل مؤمن (راسخَ الإيمان).

وليس الراسخون في الإيمان بمنأى عن مخاطر (الانقلاب على الأعقاب)[١] و(سوء العاقبة).

فهنالك من يعلم، إلاّ أنه لا يعقد القلب على ما يعلم، فيكون من الذين ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا﴾[٢]، أو لم يكن أبو جهل وأبو لهب ومن أشبه (يعلم) بنبوة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) رغم أنه كان يجحدها؟.

وألم يكن فرعون يعلم بنبوة موسى (عليه السلام) ومن قبل ألوهية الرب ومع ذلك كان يجحد؟

وألم يكن الطغاة يعلمون مكانة الأئمة (عليهم السلام) ويجحدونها في الوقت ذاته؟

فالعلم إذن غير الإيمان، وليس كل عالم (مؤمناً).

وهنا لك (المؤمن) الذي لم يشرب الإيمان قلبه، ولم يخالط لحمه ودمه، فتراه يشك عند أول شبهة، ويميل مع كل ريح!.

وهنالك الراسخون ـ بالمعنى اللغوي ـ الذين زلت بهم الأقدام فهووا إلى

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ سورة آل عمران: ١٤٤.

(٢) سورة النحل: ١٤.

الحضيض بعد أن بلغوا مرتبة قلّ لبشر أن يبلغها كـ ﴿الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾[1].

وسجل حياة السيدة "نرجس = مريم" (عليها السلام) يكشف لنا عن إيمان أصيل راسخ نموذجي مستقر طوال سنين الحياة .

وهذا ما تحدثنا عنه في بعض الفصول السابقة بشيء من الإسهاب.

وكان من الطبيعي أن يستطيع من يملك سلاحي (المعرفة والإيمان) من أن يواجه بصلابة وبنجاح أيضاً: المعارك الخمسة الكبرى ـ السابقة الذكر ـ والتي يمر بها في معترك الحياة.

وكان من الطبيعي أيضاً أن نحتاج إلى مراتب أعلى فأعلى من (المعرفة والإيمان) كلما ازدادت ضراوة تلك المعارك، وكلما احتل الفرد موقعاً متقدماً في ساحة المواجهة.

وذلك أيضاً يكشف أكثر فلأكثر عن مكانة السيدة " نرجس = سبيكة " (عليها السلام) وعظمتها وعمق إيمانها ومعرفتها.

كما قد أسلفنا الحديث عن كل ذلك، وكفاها شهادةً موجزةً وبليغةً أن يرد في زيارتها (عليها السلام): (أشهد أنك ... مؤمنة بصدقهم...)[2].

وكفى في الشهادة أيضاً على عمق معرفتها وإيمانها أن تكون: (المودعة أسرار الملك العلام) و(المستودعة أسرار رب العالمين) وأن تكون الموصوفة بـ(الصديقة، الرضية، المرضية) وبأنها: (راضية، تقية، نقية، زكية) ثم

---

(١) سورة الأعراف: ١٧٥ في قصة بلعم بن باعورا.

(٢) مفاتيح الجنان: زيارة السيدة نرجس (عليها السلام).

بـ(فرضي الله عنك وأرضاكِ و جعل الجنة منزلك ومأواك، فلقد أولاك من الخيرات من أولاك، وأعطاك من الشرف ما به أغناك، فهنّاك الله بما منحك من الكرامة وأمرأك)[1].

خاصة اذا ما لاحظنا أن عدداً من هذه الصفات هي ذات الصفات الذي ذكرت للصديقة الكبرى فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) وصلواته وتحياته وبركاته.

وربما يوفقنا الله للبحث عن هذه الصفات بشكل مستقل، بإذنه تعالى.

(١) هذه المقاطع منقولة من زيارتها في مفاتيح الجنان.

٣: الشحنة العاطفية [١]

عند ما تعضد (العاطفة الجياشة) سلاح المعرفة، وعند ما يقترن (الإيمان بالهدف) بـ (المحبة الصادقة)..

عند ذلك:

يبلغ المرء القمة العليا في (العطاء دون حساب) وتتمخض عن ذلك أروع (الملاحم) وستسجّل عندئذ صفحات التاريخ نماذج خالدة لأنماط نادرة من (التضحية) وبكل شيء.

وعند ما نتصفح سجل حياة والدة الإمام المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف) نجدها تتموج بالعاطفة المشبوبة والمحبة الصادقة لآل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقد تزاوجت في شخصيتها المثالية: المعرفة الربانية والإيمان الراسخ، بعاطفة جياشة ومحبة متأججة، طبعت بصماتها على مواقفها الاجتماعية وممارساتها الفردية في كل ما يمت لآل الرسول الأطهار (عليهم السلام) بصلة، فكان من الطبيعي بعدها أن تكون (سلام الله عليها) مؤثرة لهوى آل البيت (عليهم السلام) على هواها، ولرغباتهم على رغباتها، وأن توصف بأنها كانت: (مشفقة عليهم، مؤثرة لهواهم)[٢].

---

(١) ليلة ٢٣ / رجب / ١٤١٧هـ.

(٢) مفاتيح الجنان: زيارة السيدة نرجس عليها السلام.

شواهد صدق

[وسنجد ونحن نتصفح التاريخ، أول إشارة في سجل حياتها (عليها السلام) تنم عن تلك المحبة المتجذرة العميقة واللاهبة أيضاً لآل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عند ما نستمع إليها (عليها السلام) وهي تحكي جانباً من صفحات حياتها المشرقة، فها هي (سلام الله عليها) تقول ـ وهي في الثالثة عشر من العمر ـ:

(...وضرب صدري بمحبة أبي محمد ـ أي الإمام العسكري(عليه السلام) وهو زوجها المستقبلي، وكان ذلك إثر الرؤيا الصادقة التي رأتها وهي لا تزال في قصر جدها قيصر ملك الروم ـ حتى امتنعتُ من الطعام والشراب، وضعفت نفسي ودقّ شخصي ومرضتُ مرضاً شديداً، فما بقي في مدائن الروم طبيب إلاّ أحضره جدي وسأله عن دوائي، فلما برح به اليأس قال: يا قرة عيني هل تشتهين شيئاً ؟ ...)[1].

وهذه المحبة الصادقة والعاطفة الجياشة سيلمسها الإنسان وهو يتصفح تاريخ حياتها: كهالة مقدسة تحيط بكل كيانها وتؤطر مسيرة حياتها، بل وتذلل عليها كل صعب، وتيسر عليها كل عسير، وسنجدها تبذل الغالي والنفيس وبرغبة ولهفة وشوق في طريق تلك المحبة الربانية والصادقة.

فهي تتخلى طوعاً وبإصرار أيضاً عن حياتها الذهبية، وعن بذخ الملوكية

---

(١) إكمال الدين وإتمام النعمة، للشيخ الصدوق (قده): ص٤٢١ الباب٤١. وكتاب الغيبة للشيخ الطوسي (قده)، ومصادر أخرى عديدة.

وشتى لذائذ الحياة المادية، في إمبراطورية جدّها: قيصر ملك الروم، لتتنكر بملابس الخدم[1]، ثم تعرض نفسها للوقوع في الأسر، ثم وهي تتحمل مشاق الأسفار وأخطارها، وهي تواجه مجاهيل المستقبل في هذه الرحلة الشائكة...

بل إن تلك المحبة الصادقة، وذلك الإيمان العميق، وتلك العواطف الإنسانية الملائكية ـ السامية التي كانت تزهر وضّاءة في سماء روحها وفي ملكوت كيانها وعقلها ونفسها، تجاه الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) وآله الأطهار (عليهم السلام)، أورقت وأزهرت وأثمرت وأينعت لتبعث فيها ـ وهي لا تزال في مقتبل العمر وسنين المراهقة ـ ذلك الإحساس العميق بالمسؤولية تجاه كل من يمت إلى نبي الإسلام (صلى الله عليه وآله وسلم) بصلة، وكل من يحمل شرف الانتساب إلى الدين الإسلامي الحنيف، وإن كان غريباً عنها، مجهولاً لديها، جملةً وتفصيلاً، فأضحت (سلام الله عليها) تتألم بآلام اتباع الرسالة وتفرح بأفراحهم، ثم نجدها تنتهز الفرص للدفاع عن المظلومين وإنقاذهم من براثن الظالمين].

---

(١) إكمال الدين وإتمام النعمة: ص٤٢٢ الباب ٤١.

العاطفة وعملية استنقاذ الأسرى

[وهكذا نجدها (عليها السلام) ـ وكنموذج يحمل في طياته أسمى الدلائل ـ تخطط لإنقاذ أسرى الجيش الإسلامي الذين كانوا محتجزين عند الروم، يرسفون في الحديد والأغلال.

ولم تجد حفيدة ملك الروم المحببة والمعززة أفضل من استخدام سلاح العاطفة طريقاً لإنقاذ أسرى المسلمين.

وهكذا نجدها (تستثمر) مرضها الخطير الذي عجز عن علاجه شتى أطباء الروم ـ كما سبق ـ والذي أقلق جدّها قيصر إلى درجة كبيرة، نجدها تستثمره لحمل جدها ملك الروم على إطلاق سراج من في بلاده من أسارى المسلمين، ولنستمع إليها تحدثنا عن هذا المقطع التاريخي الفريد قائلة:

(... فقلت: يا جدي، أرى أبواب الفرج عليّ مغلقة، فلو كشفت العذاب عمن في سجنك من أسارى المسلمين وفككت عنهم الأغلال وتصدقت عليهم ومننت عليهم بالخلاص، لرجوت أن يهب المسيح وأمّه (عليهما السلام) لي عافية وشفاءً، فلما فعل ذلك جدي تجلدتُ في إظهار الصحة في بدني وتناولت يسيراً من الطعام، فسر بذلك جدي وأقبل على إكرام الأسارى وإعزازهم ...)[1].

لم يكن الطلب عادياً، إذ أنها (عليها السلام) لم تتحدث عن أسير أو

---

(١) إكمال الدين وإتمام النعمة: الباب ٤١.

أسيرين ولم تطالب بالحد الأدنى وهو فك الأغلال أو رفع التعذيب فقط، بل طالبت بالحد الأعلى وهو إطلاق سراح أسرى المسلمين جميعاً دفعةً واحدة، مستعينةً بدغدغة عواطف جدها نحوها وقلقه الشديد عليها، ومحركة فيه في ذات الوقت العرق الديني والأحاسيس الروحانية: (لرجوت أن يهب المسيح وأمه (عليهما السلام) لي عافية وشفاءً).

وكان لها (سلام الله عليها) ما أرادت !.

ويتضح لنا مدى أهمية مبادرتها (عليها السلام) تلك، عند ما نعلم أن الروم كانوا في حالة الإعداد للحرب مع المسلمين، وأن الأسارى كانوا يعدون رهينة يستفاد منهم في الضغط على المسلمين، وحملهم على إطلاق من بأيديهم من الأسارى قبال ذلك، زد على ذلك ما كان يتضمنه إطلاق سراح الأسرى من المخاطر على أمن البلاد[1].

ومع كل ذلك طالبت السيدة (عليها السلام) بإطلاق سراح الجميع وبدون استثناء، ثم استخدمت سلاح (الحكمة) لتحمل جدّها قيصر على إكرامهم وإعزازهم أيضاً، وكما تقول هي (عليها السلام): (فلما فعل جدي ذلك، تجلدتُ في إظهار الصحة في بدني وتناولت يسيراً من الطعام، فسر بذلك جدي وأقبل على إكرام الأسارى وإعزازهم).

ولنا أن نستكشف من هذا الحدث وطريقة معاملتها مع الموقف مزيجاً رائعاً من المواصفات النموذجية:

فهي (عليها السلام) تتألق بعاطفتها الجياشة، ورأفتها وغيرتها وحميتها على

---

(١) على حسب تصورهم.

جنود الإسلام، وهي تشرف بحكمتها على طريقة إدارة القضية، وفي تلك (الهمّة العالية) التي ميزت نمط الطلب وحجمه ومستواه أيضاً.

ثم وبعد هذه الجولة السريعة في تسليط الأضواء على ذينك الحديثين يمكننا أن نستكشف الكثير من الدروس والعبر، وأن نلمس عمق ولائها لآل بيت الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) وشدة محبتها لهم (عليها السلام) ومدى توهج عواطفها النبيلة نحوهم، عندما نتأمل العديد من مواقفها وتصرفاتها بعد الهجرة، وهي تعيش متفيئة بظلال الدوحة النبوية منذ أن حلت بـ (دارة القدس) تلك ...].

استنتاج ومقارنة

ومن هنا، وعبر معرفة العوامل الثلاثة الرئيسية الكامنة وراء تلك الإرادة الجبارة، وذلك الصمود الراسخ الذي كان يزهر في حياة السيدة نرجس (عليها السلام) ويميزها ويسمو بها فوق ذرى المجد الشامخ وهي:

أ: سلاح المعرفة.

ب: الإيمان الراسخ.

ج: الشحنة العاطفية.

من كل ذلك واستناداً إلى قاعدة (تعرف الأشياء بأضدادها)[1]، نكتشف السر في البرود النسبي الذي يتحكم في حياة بعض المؤمنين أو بعض العلماء تجاه ما يجري، وتجاه الأخطار المحدقة بمدرسة آل البيت (عليهم السلام)، ونعرف أيضاً السبب الكامن وراء حالة (اللامبالاة) التي تغلف الحياة العملية للكثيرين عند ما يتعرض قلم مسموم ولسان حاقد، لبعض المفاهيم أو الرؤى الدينية، أو حتى عند ما يتناول واحداً من أئمة أهل البيت (عليهم السلام) بالنقد والتجريح ـ لا سمح الله ـ.

إن بعضنا يتفجر غيظاً ويثور كالبركان عند ما يتعرض له كاتب بالنقد والتجريح في طيات كتاب أو على صفحات جريدة، ولا يهدأ له بال حتى يرد الصاع صاعين، ويشهر بصاحبه في كل مجلس، ولأسابيع أو أشهر،

---

(١) قاعدة علمية يبحث عنها في الحكمة.

وبمناسبة ودون مناسبة، وتراه يقيم الدنيا ولا يقعدها إذا ما (سجن) أبوه أو أخوه أو ابنه، ولكنه في نفس الوقت وعندما تبلغ مسامعه أنباء (اعتقال) لواحد من كبار العلماء أو مضايقات متلاحقة لعدد من كبار مراجع التقليد العظام، لا يزيد عندها على بعض (التأفف المهذب) أو (الحوقلة)[1] فقط!

وتجده أيضاً في ذات الوقت يرى ويشهد عشرات الكتب والبحوث التي تتعرض بالنقد الجارح والهجوم الصارخ على مذهب أهل البيت (عليهم السلام) وهو كقطعة من الجليد معتكف في داره، أو غادٍ وراجع إلى معمله ومتجره ومدرسته، ككل يوم مضى وككل يوم آت[2]..!.

وذلك قد يعني أن (الشفقة) على مذهب آل البيت (عليهم السلام) وأن (محبة) آل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ربما لم تبلغ شغاف قلبه ولم تشرب أعماق كيانه، ولم تصبح هاجسه الذي يعشعش في أعماق كيانه، وأن ذلك الإيمان وتلك المعرفة قد تكون (سطحية) وليست بالتي تستند إلى ينبوع ثر من العواطف الجياشة، وإلى دوحة وارفة من المحبة المتجذرة.

وهذا ما أشار إليه أميرالمؤمنين (عليه السلام) عند ما قال: (..وأنتم لنقض ذمم آبائكم تأنفون)[3].

وإن (إشراب) الشفقة على المذهب، والمحبة بآل الرسول (صلى الله عليه

---

(١) أي قول: (لا اله الا الله).

(٢) بلغت بي الكتابة هذه الليلة هذا القدر فقط، والسبب هو في طارىء طرأ بمجرد أن كتبت العنوان (الشحنة العاطفية) حيث استدعاني المحقق فـ (استنزف) ساعة ونصف من الوقت المخصص للكتابة (ومعدل المخصص للكتابة يومياً حوالي الساعتين والنصف تقريباً).

(٣) نهج البلاغة ١٠٦. وفي تحف العقول ص١٧٢ عن الحسين (عليه السلام): (و انتم لبعض ذمم آبائكم تفزعون).

وآله وسلم) أعماق الجنان وثنايا القلب وزوايا الفؤاد ـ كما كانت سيدتنا (عليها السلام) ـ يهبنا القوة على مواجهة الأعاصير، والإصرار على الاستمرار، والعزم المتصاعد أبداً على التحدي والتصدي والعطاء.

وعملية (الإشراب) هذه تتم عبر الإيحاء الذاتي، وعبر التضرع إلى الله تعالى، كي يتفضل علينا بفضله العميم بذلك وعبر توطين النفس على كل ذلك فـ (إرادة الإنسان فوق التحديات).

وتتم أيضاً عبر التروي والتدبر والتأمل في الأحاديث الواردة في فضائل أهل البيت (عليهم السلام) ومكارم أخلاقهم وعظيم ما لهم من الفضل على البشرية جمعاء، وعبر دراسة الوقائع التفصيلية تجاه نماذج نادرة من أمثال والدة الإمام القائم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) بعطائها وهجرتها وصمودها وإيثارها، و ...، حتى تتعطش النفس كي تنهل من ذلك المنهل، وتتأسى بتلك الأسوة الربانية الصالحة.

٤: القمة في الإيثار[١]

لقد كانت السيدة نرجس (عليها السلام): (مشفقة على آل البيت) (مؤثرة هواهم).

وما أعظم تلك الشفقة !.

وما أسماها !.

وما أحلاها !.

الشفقة على أولياء الله وخلفائه وحملة كتابه وورثة أنبيائه وحججه على خلقه.

ثم ما أعظم ذلك الإيثار؟!.

وما أغلاه وما أصعبه ؟!

إنه لمّا تعجز عن حمله عمالقة الرجال وشوامخ الجبال ..

أن تؤثر (هوى) آل البيت (عليهم السلام) على (هواها) .. وهوى آل البيت هو (الرسالة) و هوى آل البيت هو (الهداية)، وهوى آل البيت هو هوى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)..

وهكذا كانت والدة الإمام، لقد ضحت بما تهويه النفس وتميل إليه لصالح ما يهويه العقل والضمير والوجدان، ولما يميل إليه الرسول (صلى الله عليه

---

(١) ليلة ٢٩ / رجب / ١٤١٧ هـ، ليلة الأربعاء .

وآله وسلم) ويأمر به الرب الجليل.

و(هوى النفس) هو كافة ملذاتها وشهواتها، وأية تضحية أعظم من هذه التضحية ؟!

إنها تضحية يهون عندها أن تشد على خصرك حزام متفجرات ثم تلقي بنفسك أمام دبابة الأعداء أو شاحنتهم القادمة، لتتحول إلى أشلاء ودماء سابحة في الفضاء و.. إن كل ذلك عظيم، إلاّ أنه لا يعدو (الجهاد الأصغر) فحسب.

أما الجهاد الأكبر فهو أن تسحق شهوات النفس وتصرعها في شتى الميادين [1]...

النفس التي تشدك شداً عنيفاً ومتواصلاً للنوم والبطالة والنزهة والسياحة والتمتع بلذائذ الطعام وبزهرة الحياة الدنيا: بالأولاد والأهل والعشيرة.

النفس التي تشدك إلى ترجيح حياة الدعة والاستقرار على حياة الهجرة والجلاء، وإلى السباحة مع التيار بدل الجهر بالحق بعزم وإصرار.

إلى التنعم بعطف الأبوة وحنان الأم وسائر أعضاء الأسرة، بدل التشرد والغربة.

وإلى الالتذاذ بمشهد أبنائك وأنجالك، يحومون حواليك. ثم وهم يبنون

---

(١) راجع الكافي: ج٥ ص١٢ ح٣ باب وجوه الجهاد، بهذا الإسناد والنص: (علي بن إبراهيم، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله (عليه السلام) أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بعث سرية فلما رجعوا قال: مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي الجهاد الأكبر، قيل: يا رسول الله وما الجهاد الأكبر؟ قال: جهاد النفس). وفي شرح نهج البلاغة: ج١٠ ص٥٤: (الجهاد الأكبر جهاد النفس).

حياة زوجية سعيدة وينجبون لك أحفاداً وأسباطاً و... بدل أن تقدمهم ـ وبملأ إرادتك ـ قرابين على مذابح الحق، وشهداء في طريق الرب.

إن جهاد الزوجة والأُم وهي تسمح لزوجها أو ابنها، بل وهي تدفعه للنضال والجهاد ورفع راية المعارضة حتى السجن أو الشهادة، لهو أعظم من جهاد الزوج والابن:

إنها عاطفية، وهو عقلاني.

إنها ريحانة [1]، وهو الجلمود.

إنها ضعيفة بحاجة إلى حماية ورعاية مستمرة، وهو القوي والقائم بالنفس.

وأخيراً إنه يعاني آلام السجن، إلاّ أنها تعاني آلاماً أكبر وأكبر، فما أصعب أن يسجن الابن أو الزوج على الأم أو الزوجة، وما أبهض مسؤولية المرأة في غياب الزوج في إدارة البيت وتربية الأطفال وتأمين المعاش وملأ الخلأ العاطفي الذي يخلفه سجن الأب على الأطفال، بل ومواجهة تشكيلة متنوعة من الشكايات والمضايقات والمشاكسات والهمز واللمز الذي يواجه به أفراد من المجتمع ومن الأسرة ذاتها أيضاً، الزوجة الصامدة.

وبعدها كثيراً ما يستشهد الرجل، وتبقى المرأة لسنوات طوال، وربما لعشرات السنين تواجه بمفردها أعاصير الحياة ومرارة المآسي والمشكلات.

---

(١) إشارة إلى قوله (عليه السلام): (المرأة ريحانة وليست قهرمانة) نهج البلاغة: من وصية له (عليه السلام) للحسن بن علي (عليه السلام) كتبها إليه بحاضرين منصرفاً من صفين. و كنز الفوائد: ج١ ص٣٧٦ فصل من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في ذكر النساء. وبحار الأنوار: ج١٠٠ ص٢٥٢ ح٥٤.

وما أجدر المجتمع بأن يشمل أم الشهيد وزوجته برعايته وعنايته، وما أجدر ذوي الضمير الحر بأن يفتحوا قلوبهم قبل أحضانهم للأسرة المهاجرة، وما أجدر الناس بأن يحتضنوا عوائل السجناء في سبيل الله، أو المهجرين أو المهاجرين أو المشردين ويملئوا الفراغ الذي خلفته هجرة رب الأسرة أو اعتقاله أو مطاردته.

ثم ما أجدر المرأة المسلمة بأن تطبع مسيرة حياة حفيدة حواري عيسى (عليه السلام) وزوجة الإمام العسكري (عليه السلام) وأم الإمام المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف) في أعماق كيانها وزوايا قلبها وصحائف وجودها ووجدانها، وتتخذ منها أسوة وقدوة صالحة وأنموذجاً أسمى للهجرة والعطاء والجهاد.

وستجد عندئذ الكثير الكثير من الدروس والعبر في حياتها الحافلة، وهي تعيش داخل القصر الملكي أميرة وسيدة، كونها حفيدة ملك الروم.

ثم وهي (مهاجرة) في سبيل الله، تلك الهجرة الخطيرة الصعبة.

ثم وهي زوجة للإمام العسكري (عليه السلام) حيث تعيش ـ بحكم موقف أسرتها المعارض للطاغوت ـ أسوء الظروف السياسية والأمنية.

ثم وهي حامل بالإمام الحجة (عجل الله تعالى فرجه الشريف).

ثم وهي محجوزة أو مسجونة بأمر الطاغوت.

ثم وهي تعاني مخاوف وأخطار ملاحقة ابنها الوليد ملاحقة شرسة عنيفة.

وكذلك وهي تواجه في زمن الإمام العسكري (عليه السلام) نفسه إخفاء واختفاء الإمام المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف) وفلذة كبدها الأزهر بما صاحب ذلك من مضايقات سياسية، وفتن فكرية، واضطرابات عائلية

واجتماعية و..

وستجد أمامها عندئذ مدرسة متكاملة من العواطف الربانية ومن شتى معاني الولاء والوفاء والصفاء، ومن المحبة والإشفاق والإيثار والعطاء، وستجد عندها أفضل بلسم لجراحها الغائرة، ودموعها الحائرة...

٥: العزم والمضاء [١]

يقول سيد الموحدين (عليه السلام) : (لا تجعلوا علمكم جهلاً، ويقينكم شكاً، إذا علمتم فاعملوا، وإذا تيقنتم فأقدموا)[٢].

وقال سبحانه وتعالى من قبل: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[٣].

وقال عزوجل: ﴿وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً﴾[٤].

وتلك القواعد هي من أهم أسرار النجاح، ومن أهم ضمانات استمراريته أيضاً.

وكانت تلك القواعد من أهم ما تميزت به والدة الإمام (عجل الله تعالى فرجه الشريف) طوال مسيرة حياتها الحافلة، وكان ذلك من العوامل الكامنة وراء انتصاراتها المتلاحقة في المعارك الضارية الدائرة على جبهات النفس والمجتمع والسلطات ـ كما سبقت الإشارة إلى العديد من النماذج ـ.

إن الكثيرين يتعامل مع (العلم) تعامله مع (الجهل)، ويواجه (اليقين) كما يواجه (الشك)، في حياته الفردية أو العائلية أو الاجتماعية او الدينية أو

---

(١) ليلة أول شعبان (ليلة الخميس) ١٤١٧هـ.

(٢) نهج البلاغة: قصار الحكم ٧٤.

(٣) سورة العنكبوت: ٦٩.

(٤) سورة الجن: ١٦.

السياسية أو الاقتصادية أو غيرها .

فالذي يعلم بـ: (درهم من ربا أعظم عند الله من سبعين زنية كلها بذات محرم عند بيت الله الحرام)[1].

و: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2] ثم بعد ذلك يتعامل بالربا وينتفخ به أيضاً، فإنه هو ذلك الذي سحق (علمه) تحت الأقدام وحول علمه جهلاً ويقينه شكاً.

والذي يعلم بأن: (الساكت عن الحق شيطان أخرس).

و: (من أعان على المؤمن بشطر كلمة لقي الله عزوجل يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمتي)[3].

و: (إذا رأيتم العلماء على أبواب الملوك فقولوا بئس العلماء وبئس الملوك، وإذا رأيتم الملوك على أبواب العلماء فقولوا نعم العلماء ونعم الملوك)[4].

من يعلم كل ذلك ثم يسكت عن الجهر بالحق والتشهير بالباطل، أو يعين الظالم ـ ولو بالتوظف في إحدى دوائر الدولة ـ أو تراه يراود الظلمة

---

(١) راجع تهذيب الأحكام: ج٧ ص ١٤ ح٦١ باب١ فضل التجارة وآدابها، وفيه: (الحسين بن سعيد، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (درهم ربا أشد من سبعين زنية كلها بذات محرم).

(٢) سورة آل عمران: ١٣٠.

(٣) وسائل الشيعة: ج٨ ص ٦١٦ ح٤ باب١٦٣: عن محمد بن يعقوب، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله (عليه السلام)..

(٤) قال علي (عليه السلام): (الملوك حكام على الناس، و العلماء حكام على الملوك) مستدرك الوسائل: ج١٧ ص٣١٦ باب١١ ح٢١٤٥٥.

ويهادنهم، فإنه ـ حسب تلك الأحاديث ـ قد جعل علمه جهلاً، ويقينه شكاً، فتجرد علمه من العمل، وتعرى يقينه من الأقدام، وأن (العلم مقرون بالعمل) فمن علم عمل (والعلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل).

والذي يعلم بـ: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً﴾[1].

و: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[2].

و: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً ۞ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[3].

و: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً﴾[4].

و: (الدنيا تغر وتضر وتمر)[5].

و: (عبدي أطعني تكن مثلي أقول للشيء كن فيكون، وتقول للشيء كن فيكون).

ثم نجده بعد ذلك يستبد ويستأثر ويتكبر ويستعلي، أو تراه مغروراً بالدنيا، غارقاً في ملذاتها، مشدوداً إلى شهواتها، أو ألف شيء وشيء، فإن هذا الأنموذج من الناس هو كذلك الذي أنذر بهجوم عدة أسود مفترسة على

---

(١) القصص: ٨٣.

(٢) العنكبوت: ٦٤.

(٣) الطلاق: ٢- ٣.

(٤) الطلاق: ٤.

(٥) نهج البلاغة / قصار الحكم ٤١٥.

قريته، ثم تراه يخرج إلى الأزقة شامخاً برأسه إلى السماء، مترنماً بأغنية حالمة!

أو كمن شاهد جيش العدو وهو يزلزل أرجاء البلدة بدباباته وطائراته ومشاته، ثم يمضي بثقة واعتلاء ليكمل بحوثه في الجيولوجيا أو في الميتافيزيق!!.

إن المؤمن هو ذلك الذي علم وآمن فعمل، أيقن فأقدم، ثم لم يترك لوساوس الشيطان، ولا لهمسات الخلان، ولا للنفس الأمارة بالسوء، ولا لبهارج وزخارف الحياة، مجالاً لزعزعة إرادته وفلّ عزيمته وتثبيط همته.

وعندئذ يكون من الذين حملوا هذا الوسام الرباني: ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا**﴾[1] فتفتح له عندئذ آفاق جديدة، وتلفه العناية الربانية، ويرتقي سريعاً في مدارج الكمال، وستنزل عليه السكينة، وتهبط عليه صنوف لا تتصور من الرحمة الإلهية، فإن الحسنات بعضها آخذ بعنق الآخر كما ورد في الحديث.

وسيكون كما قال تعالى: ﴿**وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً**﴾[2].

وكذلك كانت السيدة نرجس (عليها السلام).

فقد انطلقت عن بصيرة، وجاهدت على ضوء ما علمت، وواصلت كما تيقّنت، فإذا كان هنالك من يعلم ثم هو كقطعة صخر أو جليد، أو يتيقن ثم هوساكن كصخر في واد أو كصفر إلى الشمال، أو كان هنالك من

---

(١) سورة العنكبوت: ٦٩.

(٢) سورة الجن: ١٦.

يعمل على غير بصيرة ويمضي وهو على شك، فإنها (صلوات الله عليها) علمت وعملت، وتيقّنت فأقدمت، وكانت كما جاء في زيارتها: (... وأشهد أنكِ مضيتِ على بصيرة من أمركِ ...)[1].

وهكذا كانت الشهادة لها بـ: (أشهد أنكِ قد أحسنتِ الكفالة، وأديتِ الأمانة، واجتهدتِ في مرضاة الله، وصبرتِ في ذات الله، وحفظتِ سر الله، وحملتِ ولي الله، وبالغتِ في حفظ حجة الله، ورغبتِ في وصلة أبناء رسول الله...)[2].

وهكذا كان حيث وصفت بـ (الصديقة، الرضية المرضية، التقية النقية، الراضية الزكية)[3].

وما أسمى درجة الصديقين؟!.

وما أعلى شأن من أضحى راضياً بقضاء الله وقدره، مرضياً في أرضه وسمائه، زكياً نقياً نقياً ؟!.

---

(١) مفاتيح الجنان: زيارة السيدة والدة الإمام القائم (عليه السلام).

(٢) مفاتيح الجنان: زيارة السيدة والدة الإمام القائم (عليه السلام).

(٣) مفاتيح الجنان: زيارة السيدة والدة الإمام القائم (عليه السلام).

معاناة اجتماعية

ولكي نعرف مدى قيمة ذلك (المضاء) و(العزم) الغريب الذي تحلت به السيدة نرجس ـ ملكية (عليها السلام) لا بد من أن نلقي نظرة على جانب من الظرف الاجتماعي.. السياسي الذي كان يحيط ببيت النبوة وأسرة الإمامة والإمام العسكري (عليه السلام) والإمام المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف) بالذات، حيث كانت المعاناة من الأصدقاء كما كانت من الأعداء، وكانت المعاناة أيضاً من عامة الناس كما كانت من السلطات.

وكان الحسد هو من الأسباب الرئيسية في معاداة الإمام (عليه السلام) من قبل السلطات، وربما حتى من قبل أفراد الأسرة.

وتكفينا الرواية التالية لمعرفة مدى خطورة هذه المعاداة، وشدة تأثيراتها السلبية، وهي تشير أيضاً إلى واحد من أسباب التكتم الشديد على ولادة الإمام الحجة (عجل الله تعالى فرجه الشريف).

وهي تفصح عن المعاناة التي كانت تعايشها السيدة نرجس (عليها السلام) كونها زوجة الإمام العسكري (عليه السلام) وإحدى المحتملات الرئيسية ـ لدى العديد ـ لأمومة الإمام المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف) كما كشف عدّاد الزمن عن كونها هي بالذات الأم ولا غير، كما تكشف عن ذلك العزم الراسخ الذي كانت تتحلى به السيدة أم الإمام الحجة (عجل الله تعالى فرجه الشريف) متحدية كل تلك الظروف بصمود لا نظير له:

فأبو خالد الكابلي في حواره مع الإمام الباقر (عليه السلام) يقول: (...أريد أن تسميه ـ أي الإمام الحجة (عجل الله تعالى فرجه الشريف) ـ لي حتى أعرفه باسمه.

فقال ـ أي الإمام الباقر (عليه السلام) ـ : سألتني والله يا أبا خالد عن سؤال مجهد، ولقد سألتني عن أمر ما لو كنت محدثاً به أحداً لحدثتك، ولقد سألتني عن أمر لو أن بني فاطمة عرفوه حرصوا على أن يقطعوه بضعة بضعة)![1].

وعلى الرغم من الحرص الشديد على إخفاء أمر الوليد المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف) فإن مجرد احتمال البعض لولادته سبب تأجج نار الحسد وتفجر الأضغان في القلوب وعلى صفحات الوجوه وأطراف الجوارح!.

كل ذلك زائداً الحسد الشخصي تجاه الإمام العسكري (عليه السلام) نفسه!

وقد استدعى الخليفة العباسي الإمام العسكري (عليه السلام) يوماً فشق ذلك على الإمام وتحذر من (أن يكون قد سعى به إليه بعض من يحسده ...)[2].

وما أصعب الحياة في ظل هذه الظروف وما أشقها، خاصة على النساء ـ وهنّ ذات حساسية عالية ومشاعر رقيقة وعواطف ساخنة ـ وهنّ يعشن معاناة رب الأسرة و مخاطر عديدة تواجههن بالذات إثر ذلك!).

---

(١) بحار الأنوار: ج٥١ ص٣١ نقلاً عن غيبة النعماني. وفي كتاب (الغيبة) للشيخ الطوسي ص٣٣٣ ح٢٧٨ الفصل٥: روى أحمد بن محمد بن عيسى الأشعري، عن محمد بن سنان، عن محمد بن يحيى الخثعمي، عن ضريس الكناسي، عن أبي خالد الكابلي، في حديث له اختصرناه، قال: (سألت أبا جعفر (عليه السلام) أن يسمي القائم حتى أعرفه باسمه، فقال: يابا خالد سألتني عن أمر لو أن بني فاطمة عرفوه لحرصوا على أن يقطعوه بضعة بضعة).

(٢) كتاب الغيبة: ص١٢٩.

٦: مقتدية بالصالحين

إن اتخاذ (الأسوة الصالحة)، والتفكير الدائم بها، وتحولها إلى هاجس يومي، يعيش مع الإنسان لحظة بلحظة، وخطوة بخطوة، ويتجسد أمام ناظري الإنسان ويملأ قلبه وسمعه وبصره، هو من أهم (الأسلحة) التي تكفل للإنسان المقدرة الأسمى على مواصلة مسيرته النضالية الصعبة، وعلى الاستمرار في برنامجه الجهادي الخطير.

وإن دراسة سريعة لحياة السيدة نرجس (عليها السلام) تكشف عن أنها (عليها السلام) كانت قد أشربت أعماق كيانها معادلة الأسوة، فأضحت لا تبصر غير الإمام العسكري (عليه السلام) ولا تفكر إلاّ في الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف)، ولذلك فقد ورد في مواصفاتها: (مقتديةً بالصالحين)[1].

وهكذا نجد أن السيدة نرجس (عليها السلام) قد تأست في شتى مراحل حياتها بالقمم السامية في الصلاح السداد، والتضحية والجهاد، فأضحت ـ بدورها ـ الأسوة المثلى والقدوة العليا للأجيال اللاحقة..

لقد تأست السيدة (عليها السلام) بأبي طالب (عليه السلام) عم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وكافله، حيث بسط حمايته على ابن أخيه ووقاه من الأخطار والمشاكسات من قبل عليّة القوم وسفلتهم، حتى قال (صلى الله عليه وآله وسلم): (بني الإسلام على ثلاث: سيف علي، ومال خديجة، وحماية أبي طالب)

---

(١) مفاتيح الجنان: زيارة والدة الإمام القائم (عجل الله تعالى فرجه الشريف).

فكانت الحماية السياسية والاجتماعية من نصيب أبي طالب (عليه السلام)، وكان الدعم الاقتصادي من سهم خديجة (عليها السلام)، وكانت القوة العسكرية الضاربة من مهام الإمام علي ابن أبي طالب (عليه السلام)، وإن كان لكل منهم دور في البُعدين الآخرين بشكل أو بآخر.

وقد أشرنا في فصول سابقة إلى نماذج من حمايتها[1] الاجتماعية والأمنية النموذجية للإمام الحجة (عجل الله تعالى فرجه الشريف) وتعرضها لشتى الأخطار والمضايقات وهي تحافظ على (حياة) الإمام (عجل الله تعالى فرجه الشريف) لفترات طويلة.

كما تأست (عليها السلام) بالسيدة خديجة (عليها السلام) وبالسيدة مريم (عليها السلام) وبالسيدة زينب (عليها السلام) وبأم موسى (عليها السلام) وبيوسف الصديق (عليه السلام)، كما تحدثنا عن كل ذلك في فصول سابقة.

فأصبحت بذلك الوريث والوارث المعنوي لكل أولئك ـ على حسب الظروف السياسية والاجتماعية المحيطة بها (عليها السلام) ـ فقد ورثت (المنهج) و(المعرفة) و(الإيمان) و(العزم والمضاء) و(الصمود والمواصلة) و(التضحية والإيثار) و... من كل أولئك (عليهم أفضل الصلاة والسلام).

إن القدوة الصالحة هو ذلك التجسيد الحقيقي للوجود المثالي، وهو ذلك المنار الذي يلهمك الإيمان والإخلاص والصبر والصمود، ويمدك بذخيرة لا تنفذ من الشهامة والفتوة، وبشحنات متدفقة من العزم والمضاء والقوة والعطاء، وهكذا نجد القرآن الكريم مليئاً بنماذج من القدوات الصالحة[2]

---

(١) أي حماية السيدة نرجس عليها السلام.

(٢) قال تعالى: (**لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة**) سورة الأحزاب: ٢١. وقال ◄

وشواهد من القدوات الطالحة على مر التاريخ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾[1].

وإذا عرفنا أن الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) هو ممن يوصيه الباري جل وعلا بالتأسي والإقتداء بـ ﴿أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾[2]، عرفنا المكانة الكبرى التي تحتلها الأسوة والقدوة في حياة الأفراد والقادة والأمم على حد سواء، وعرفنا أيضاً سراً آخر من أسرار الانتصارات الساحقة التي حظيت بها السيدة نرجس (عليها السلام) في تلك المعارك المصيرية الدائرة على عدة جبهات، وحقّ لنا أن نهتف باسمها هي الأخرى سيدةً ورائدةً وأسوةً وقدوةً، وهي التي قامت بكل ما قامت به إحرازاً لرضا الله تعالى، ومحبةً في أهل البيت (عليهم السلام) لا غير[3].

◄ سبحانه: (**قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه**) سورة الممتحنة: ٤، وقال تعالى: (**لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة لمن كان يرجو الله**) سورة الممتحنة: ٦، وقال سبحانه: (**فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث**) سورة الأعراف: ١٧٦. وقال تعالى: (**مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها..**) سورة الجمعة: ٥، وقال سبحانه: (**وضرب الله مثل رجلين ...**) سورة النحل: ٧٥، وقال تعالى: (**ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط**) سورة التحريم: ١٠، وقال سبحانه: (**ضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون**) سورة التحريم: ١١، قال تعالى: (**كذلك يضرب الله الامثال**) سورة الرعد: ١٧، وقال سبحانه: (**ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون**) سورة إبراهيم: ٢٥.

(١) سورة الروم: ٥٨.

(٢) سورة الأحقاف: ٣٥.

(٣) ليلة ٢ / شعبان ١٤١٧هـ / ليلة الجمعة.

الفصل الخامس

العطاء الإلهي

العطاء الرباني

لقد نالت السيدة أم الإمام المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف) و(عليها السلام) سلسلة من المنح الربانية، بعد أن نذرت نفسها ـ بما للكلمة من معنى ـ لله تعالى ولخلفائه على خليقته، فقد عوّضها الله سبحانه وتعالى عن كل ذلك بـ(عطاء غير مجذوذ) في الدنيا والآخرة.

والبحوث التالية هي إشارة سريعة لبعض تلك المنح الربانية:

ورضوان من الله اكبر[1]

لقد تبوأت السيدة نرجس (عليها السلام) قمة المجد وذورة الشرف عند ما نالت رضوان الله تعالى، ذلك الرضوان الذي عدّه الباري جل وعلا في كتابه الحكيم ﴿أَكْبَرَ﴾[2] من كافة ألوان النعيم الأبدي في جنات الخلد، وقد ورد في زيارتها (عليها السلام) الشهادة لها بذلك[3].

وليس نيل رضى الله بالأمر الهيّن اليسير، ذلك أنه يتطلب مناقبيات ومواصفات استثنائية ونفسية رفيعة، وسلوكاً متميزاً، من الإخلاص في النية

---

(١) ليلة ٢ / شعبان ١٤١٧هـ.

(٢) قال تعالى: ﴿ورضوان من الله اكبر﴾ التوبة: ٧٢.

(٣) مفاتيح الجنان ص ٩٤٧.

والتمحض في ذات الله تعالى، إلى الخلق السامي، إلى الجود بالنفس والنفيس في طريق ذات الشوكة ..

وما أروع تجلي تلك المواصفات في السيدة والدة الإمام المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف)، فنالت بذلك رضوان رب العالمين الذي لا تخفى عليه خلجات النفس ولا شوارد الخواطر و لا أكبر من ذلك ولا أصغر.

وبما أنه جل وعلا ليس محلاً للحوادث، ولا عرضةً لصفات حادثة متغيرة كالرضا والسخط والحب والبغض ونظائرها، لذلك فإن إطلاق هذه الصفات عليه تعالى في الآيات والروايات يراد بها أقرب المجازات، وهو: شتى الآثار بل أسمى الآثار العملية الناجمة عن تلك الصفات أو ما أشبه[1].

فـ (رضا الله) يعنى : إعطاؤه تعالى كافة أنواع النعيم أو أسمى أنماط النعيم المقيم للمرضي عنه. و(سخطه) يعني: العكس تماماً، وهكذا وهلم جراً ـ كما فصل الحديث عنه في علم الكلام ـ فـ (رضي الله عنكِ)[2] إذن تكشف الكثير الكثير جداً.

---

(١) راجع حول هذا المبحث الكتب الكلامية. مثل (الباب الحادي عشر) و(القول السديد في شرح التجريد). و(كفاية الموحدين).

(٢) مفاتيح الجنان: زيارتها عليها السلام.

أعطاها حتى أرضاها

لقد أعطى الله رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى أرضاه، كما وعده بذلك في محكم كتابه الكريم: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾[1].

وقد أعطى سبحانه وتعالى والدة آخر أوصيائه حتى أرضاها أيضاً، كما ورد في زيارتها (عليها السلام): (فرضي الله عنكِ وأرضاكِ)[2].

وما أعظم هذا العطاء من الفياض المطلق، اللامتناهي، القادر الجواد، الذي بيده خزائن الغيب والشهود، والذي لا يزداد على كثرة العطاء إلا جوداً وكرماً، ومن الطبيعي أن تكون للعطاء الإلهي ـ ذلك العطاء اللامتناهي بنحو اللامتناهي اللايقفي ـ درجات تختلف باختلاف "القابل" وعلى حسب عظمته الذاتية وتضحياته العملية، وإن كانت بأجمعها تشترك في أنها (مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر)[3].

وإذا لاحظنا أن طموحات الإنسان لامتناهية، وآفاق الخيال البشري لا تقف عند حد، وأن سعة عالم الخيال وآفاق التفكير والتعقل وإمتداداته عند البعض النادر من عمالقة الفلاسفة وجهابذة العلماء يبلغ حداً غير قابل للتصور لعامة الناس.

---

(١) سورة الضحى: ٥.

(٢) مفاتيح الجنان: زيارتها عليها السلام.

(٣) أمالي الصدوق: ص٤٢٩ ـ ٤٣٣ ح١ المجلس٨٠ ـ تهذيب الأحكام: ج٦ ص١٠٧ ح٥ باب من الروايات.

إذا لاحظنا ذلك استكشفنا المغزى الرهيب الهائل الذي تحمله جملة (فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر)[1].

ولقد ورد التصريح في زيارة السيدة نرجس (عليها السلام) ببعض ذلك العطاء الإلهي، نذكرها كإشارة عابرة:

(لقد أولاكِ من الخيرات ما أولاكِ، وأعطاكِ من الشرف ما به أغناكِ، فهنّاكِ الله بما منحكِ من الكرامة وأمراكِ.. وجعل الجنة منزلكِ ومأواكِ)[2].

وما أعمق دلالة (الخيرات) و(الشرف) و(الكرامة) و(الأغناء الإلهي)، وما أعذب كلمة (هنّاكِ) و(أمراكِ)، وقد تعرضنا لذكر مصاديق أخرى من العطاء الإلهي سابقاً ـ أو لاحقاً ـ فلا حاجة بنا إلى التكرار.

وإن (إرضاء) الله سبحانه وتعالى للنبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) ولأوصيائه (عليهم السلام) أو للسيدة نرجس (عليها السلام) وصالح المؤمنين ـ استنباطاً من الدلالة الالتزامية لقوله تعالى: ﴿**رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ**﴾[3].

ومن التصريح بذلك في زيارتها (عليها السلام): (فرضي الله عنك وأرضاكِ)[4].

ومن المعرفة بفياضة الخالق عز وجل وجوده وكرمه ولطفه وفضله وغير

---

(١) أمالي الصدوق: ص٤٢٩ ـ ٤٣٣ ح١ المجلس ٨٠، تهذيب الأحكام: ج٦ ص١٠٧ ح٥ باب من الروايات.

(٢) مفاتيح الجنان: زيارة السيدة نرجس (عليها السلام).

(٣) سورة البينة: ٨.

(٤) مفاتيح الجنان: زيارة السيدة والدة الإمام القائم (عجل الله تعالى فرجه الشريف).

ذلك ـ يعني : شمولية الفيض الإلهي بحيث يلف الإنسان بذاته ـ في شتى أبعاده الحسية والعقلية والمادية والمعنوية ـ وبحيث يعم كافة (من يرضى المؤمن ويبتهج) بالإحسان إليه وإعطائه وإرضائه أيضاً، أي كافة من يهتم الإنسان بأمره أو يمت إليه بصلة ...

وهذا بدوره ينقلنا إلى معادلة (الشفاعة).

الشفاعة: بوابة رحمة[1]

الشفاعة: عطاء إلهي أولاً، وفضل رباني ثانياً، وقاعدة انطلاق وحلقة وصل بين عامة الناس وصالح أولياء الله تعالى، وهي حبل الله المتين الرابط بين الأمة والإمامة، والقاعدة والقيادة ثالثاً.

فهي عطاء إلهي وكرامة فضلى منه جل وعلا لـ (أوليائه الصالحين) الذين "كانوا لله فكان الله لهم"، كانوا حيث أمر فكان حيث رجوا، أحبوه فأطاعوه وأحبهم فاستجاب لهم (عبدي أطعني تكن مثلي أقول للشيء كن فيكون وتقول للشيء كن فيكون).

وهي فضل رباني، ومن مظاهر رحمة الله الواسعة، ومن تجليات جوده وكرمه، فكما جعل الله (التوبة) حتى عن كبائر الذنوب، بوابة غفرانه، وكما كان وجود النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في حد ذاته طارداً للبلاء ودافعاً للعذاب ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ...﴾[2]، كذلك جعل الشفاعة بوابة رحمة، فبها يغفر الله الذنوب ويرفع الدرجات ويضاعف العطاء.

---

(١) ليلة ٣ من شعبان / ١٤١٧هـ، ليلة ميلاد الإمام الحسين (عليه السلام) ونحن لا نزال في السجن في ضيق وكرب، ونحن نقسم على الإمام الحجة (عجل الله تعالى فرجه الشريف) بوالدته (عليها السلام) أن يدعو الله دعوة غير مردودة في الفرج العاجل لنا ولمن يعنينا أمره وفي تعجيل فرجه وإعطائنا كما ينبغي لكرم وجه الله عز جلاله، وبدم الحسين (عليه السلام).

(٢) سورة الأنفال: ٣٣.

وهي إلى كل ذلك حلقة وصل بين الأمة والإمامة، والحبل المتين الذي شد الله به القاعدة بالقيادة.

فهي (أي الشفاعة) تدعيم لمركز القيادة، وتكريس لمكانة أولياء الله الصالحين في المجتمع.

وهي (طريق الرجعة) الذي فتحه الله لمن كانت له (أرضية العودة) و(صلاحية الشفاعة) وإن لم يسعفه عمله كما ينبغي، فـ ﴿لاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى﴾[1].

وقد منح الله سبحانه والدة الإمام المنتظر عليها السلام (مرتبة الشفاعة) وفي درجات سامية أيضاً، وهذه المنحة الربانية إكرام إلهي لها، بما أطاعت الله ونذرت نفسها للدين القويم، وجاهدت في سبيل الله لا تخاف لومه لائم، وفارقت الأهل والأحبة في رضى الله و...

وهذه المنحة هي إكرام رباني لها مرة أخرى باعتبارها والدة آخر خلفاء الله على الأرض، بل في الخليقة على الإطلاق، فإكرامها إكرام له عليه السلام وعجل الله تعالى فرجه الشريف.

---

(١) سورة الأنبياء: ٢٨.

الشفاعة: مشروع تكامل

ثم إن هذا المنحة تكريس لمكانتها عليها السلام، ولكافة المواصفات والمناقبيات التي تجسدت فيها، فهي - بما أنها الشفيعة إلى الله تعالى - تشدنا إليها وتجعل آمالنا معلقة بها لحوائج دنيانا وأخرانا معاً.

وإن من الثابت في علم النفس أن الإنسان يميل لا شعورياً إلى (تقمص) شخصية من يحس بأنه مفتاح فلاحه وسرّ نجاحه، أو من يأمل فيه أن يقوده إلى آماله وأمنياته .. أي إن مواصفات (الشفيع إلى الله) ومناقبياته لابد وأن تترك بصماتها على شخصية الإنسان الذي آمن بالشفاعة وعرف (الشفعاء إلى الله).

فـ (الشفاعة) إذن فكرة حيوية، وهي طريق مُشرَع نحو التكامل، وهي بعد ذلك سلاح مشهر بوجه إبليس، وبلسم شاف لسرطان (اليأس) الذي يعشعش في وجود المذنبين، والذي يقطع عليهم طريق العودة ويطفي شمعة الأمل، فلا يجدون أمامهم إلاّ مزيداً من التلوث بالخطايا والآثام.

قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلاّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾[1].

ولذلك كله نجد زيارة السيدة نرجس (عليها السلام) تركز في أواخرها على قضية (الشفاعة)، بل إنك تطلب من الله تعالى في هذه الزيارة أن يدخلك في شفاعتها، وأن يوفقك لكي تنال ذلك ؟!

---

(١) يوسف/ ٨٧.

ولنقرأ معاً الجملتين القصيرتين التاليتين المتضمنتين لهذا المغزى الكبير الكبير:

(... ولا تَحْرِمْني شَفاعَتَها وَشَفَاعَةَ وَلَدِها ...)

و(...وأَدْخِلْني في شَفَاعَةِ وَلَدِهَا وَشَفَاعَتِها ...)[1].

وتتجلى لنا الأهمية الكبرى للشفاعة عند ما نلاحظ أن (الشفاعة) لا تنحصر في عالم الآخرة فحسب، بل تشمل الحوائج الدنيوية أيضاً، كما تشهد لذلك (فلسفة الشفاعة) التي أشرنا إليها باختصار في هذا المبحث، وكما تدل على ذلك الأدلة النقلية أيضاً، ومنها ما نقرأه في زيارة الإمام صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف) عند سرداب الغيبة:

(...لِتَكونَ شَفِيعاً عِنْدَ رَبِّكَ وَرَبّي وَإِلَى آبائِكَ وَمَوالِيَّ في حُسْنِ التوْفِيق بي وإسْباغِ النعْمَةِ عَليَّ وَسَوْقِ الإحسَان إليّ)[2].

وهذا المفهوم تركزه وتؤكده أكثر فأكثر عبارة أخرى وردت في زيارة السيدة نرجس (عليها السلام) حيث نقرأ:

(...فَصَلِّ عَلَى محمدٍ وَآلِ محمدٍ وَانْفَعْني بِزِيارَتِها...)[3]

والمنفعة هذه تشمل المنافع الدنيوية والأخروية، المادية والمعنوية، المباشرة وعبر الواسطة و... استناداً إلى الإطلاق الأحوالي والأزماني وكون حذف المتعلق مفيداً للعموم[4].

---

(١) مفاتيح الجنان: زيارتها عليها السلام.

(٢) مفاتيح الجنان: زيارتها عليها السلام.

(٣) مفاتيح الجنان: زيارتها عليها السلام.

(٤) راجع كتاب " الأصول" للإمام الشيرازي (قدس سره).

كما تؤكد ذلك المفهوم أيضاً فقرة أخرى وردت في الزيارة: (... وَبِقَبْرِ أمّ وَلِيّكَ لُذْتُ) ومن الواضح أن الاحتماء واللواذ بقبرها (عليها السلام) لا تختص بمصيبة أو داهية أو حاجة معينة.

فهي (عليها السلام) الملاذ للدنيا والآخرة وفي كافة الجهات أيضاً.

ومن اللطيف الإلفات إلى روعة استخدام الكنية في هذه الفقرة، فهي عليها السلام (أم وليك) يا رب، فيكف لا تخفر ذمتها، وكيف لا تجير من احتمى بها ؟!

هل الشفاعة دوائر متداخلة ؟

ويبقى ههنا تساؤل :

ما هي المعادلة التي تحكم العلاقة بين مجموعة (الشفعاء) وبين منظومة (المشفوع لهم)؟.

أو كيف تتنظم وتنتظم الرابطة بين الشفعاء والشفاعة وآحاد الناس؟.

فهل الشفاعة عبارة عن دوائر متداخلة بعضها مندمج في البعض الآخر؟.

أم أنها حلقات مستقلة منفصلة، لكل منها مجالها الخاص، ومتعلقاتها الخاصة؟ . أم لكل من الشفعاء أفراد محددون ؟!.

وبعبارة مبسطة :

أ : هل أن زيداً مثلاً تشمله شفاعة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمير المؤمنين (عليه السلام) وفاطمة الزهراء (عليها السلام) والإمام الحجة (عجل الله تعالى فرجه الشريف) والسيدة نرجس (عليها السلام) مثلاً معاً ودفعةً واحدة في القضية الواحدة، فتكون الشفاعة مؤكدة ؟ وذلك كمن يحظى في قضية معينة أو في كل حياته بحماية دولتين أو تاجرين، أو يحمل وكالة من مرجعين أو أكثر في القضية الواحدة أو مطلقاً.

ب : أم أنه تناله شفاعة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في القضية (ألف) وتناله شفاعة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في القضية (ب) وشفاعة السيدة الزهراء (عليها السلام) في القضية (ج) وهكذا، أي أن تكون لكل قضية أو سلسلة متجانسة من القضايا ولكل مجال، شفيع خاص وشفاعة محددة؟

وذلك كن يحظى في القضايا السياسية بدعم أو وكالة من شخص، وفي القضايا الاقتصادية بوكالة أو دعم من شخص آخر وهكذا ..

ج: أم أن زيداً سيدخل في منظومة شفاعة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بكل جوانب حياته، وعمرواً يدخل في منظومة شفاعة أمير المؤمنين (عليه السلام) بكافة قضاياه وحوائجه، وهكذا ...؟! على حسب تركيبته النفسية أو سيرته العملية كمجموع، أو على حسب نمط دعواته وتوسلاته ؟!

والذي آثار هذا التساؤل هنا هو تلك العبارة السابقة الواردة في زيارة السيدة نرجس (عليها السلام): (ولا تحرمني شفاعتها وشفاعة وَلَدِها) .. (وأدخلني في شفاعة وَلَدِها وشفاعتها ...)[1]

والذي يظهر من هذه العبارة انتفاء الاحتمال الثالث[2] وليس عندي - وأنا في زاوية بغيضة من زوايا السجن - أيّ مصدر أرجع إليه للتحقيق حول ذلك، والله المستعان.

ومن المحبذ أن نشير أيضاً إلى إمكان استنباط عمومية شفاعة السيدة نرجس عليها السلام وشمولها لكافة من هو أهل لنيل الشفاعة، من هاتين الفقرتين، استناداً إلى (التوجيه العام) للجميع بـ (زيارتها) المتضمنة لطلب: (أدخلني في شفاعة وَلَدِها وشفاعتها) و(لا تحرمني شفاعتها وشفاعة وَلَدِها)[3]، والأمر بحاجة للتأمل والتدقيق الأكثر[4].

---

(١) مفاتيح الجنان: زيارتها عليها السلام.

(٢) ويحتمل أن تكون الشفاعات لشخص واحد توجب رفع درجته أو ما أشبه .

(٣) مفاتيح الجنان: زيارتها عليها السلام.

(٤) حول مبحث الشفاعة راجع الكتب الكلامية كـ (حق اليقين) و(كفاية الموحدين) و..

لسان الصدق

ولقد كان من آثار ذلك الرضى الإلهي: ﴿لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآَخِرِينَ﴾[1] الذي منحه الله تعالى للسيدة والدة الإمام المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف) على مرّ القرون والأعصار، وفي تعاقب الأجيال...

ولكي ندرك مدى أهمية هذا العطاء الرباني نقرأ معاً دعاء نبي الله إبراهيم (عليه السلام) حيث قال: ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآَخِرِينَ﴾[2]، ذلك أن لسان الصدق يعني الذكر الحسن والثناء العطر والوصف بجميل الصفات والأقوال، الذي يمنحه الله للإنسان فيسمو إلى مستوى (القدوة الحسنة، والأسوة الصالحة) فيكون المرء بذكره الحسن مناراً ومشعلاً ومرشداً للخليقة على مر الأعصار، فيكون بعد وفاته كحال حياته داعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، فيزداد علواً وسمواً وارتفاعاً ودرجاتٍ وهو في ذلك العالم الآخر.

فـ (لسان الصدق) هو تلك (الصدقة الجارية) إلى ما شاء الله، وما أسماها من مكرمة يمنحها الله لصالح عباده.

---

(١) سورة الشعراء: ٨٤.

(٢) سورة الشعراء: ٨٤.

وبذلك نعرف أيضاً أن هذا الطلب لم يكن منبعثاً عن الرغبة في الذكر الحسن بما هو ذكر حسن وبعنوان الموضوعية، ولم يكن نابعاً عن حب الذات أو الأنانية أبداً، بل إنها السبيل الشارعة للهداية والإرشاد والطريق المهيأ للتكامل والازدياد، وكما منحها الله تعالى لسان الصدق ودرجة الشفاعة في الآخرة فقد فرض لها (حمى) و(زمرة) في الدنيا والآخرة أيضاً[1].

(١) مفاتيح الجنان: زيارة والدة الإمام القائم (عجل الله تعالى فرجه الشريف).

عطاء آخر في عالم الآخرة[1]

ونقرأ في زيارة السيدة نرجس (عليها السلام): (... وإذا توفيتني فاحشرني في زمرتها ...) (... وارزقني مرافقتها واحشُرني معها ومع وَلَدها...)[2].

فـ (مرافقة السيدة (عليها السلام)) رزق إلهي، ونعمة من نِعَم الآخرة، يمنّ بها الله جل وعلا، على صالحي عباده، لذلك كان من المحبذ ـ وحسب هذه الزيارة وأشباهها ـ أن يطلب الإنسان من الله أن يرزقه ذلك، وستأتي الإشارة إليه.

ثم إنه جل وعلا منح السيدة والدة الإمام المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أعطية أخرى، فأقرّ لها (زمرة) و(حمى) ..

فكما أن سماح الحكومات ـ في عالم الدنيا ـ لشخصية ما بأن تؤسس حزباً أو جمعيةً، امتياز بحد ذاته أولاً، وموقع قوة ووسيلة ثانياً، وهو مما تترتب عليه سلسلة من الحقوق والامتيازات ثالثاً، كذلك[3] أقرّ سبحانه وتعالى في عالم الآخرة لأوليائه الصالحين: (زمراً) وجماعات و(حمى) وحقوقاً كثيرة تترتب على ذلك.

---

(١) ليلة ٤ شعبان، ليلة ولادة أبي الفضل العباس (عليه السلام).

(٢) مفاتيح: زيارتها عليها السلام.

(٣) هذا كله تقريب للأذهان لا غير، وتشبيه للمعقول (أو ما بمنزلته) بالمحسوس، وليس القصد المقارنة الدقية أو المماثلة في (النوع).

وكان من إحدى آثار (الدخول في زمرة الصالحين): ضمان الدخول إلى الجنة!!

وما أعظمها من أُعطية، وأجلها من منحة؟!.

ويمكن لنا أن نستنبط من هذه الزيارة ومن روايات أخرى عديدة:

بعض "مشاهد" يوم القيامة، يوم العرض الإلهي الكبير، فالذي يبدو أن في عالم المحشر: (تكتلات)[1] و(تجمعات) عديدة!

وربما يظهر أن هذه الاجتماعات والتجمعات (متسلسلة تسلسلاً هرمياً)! فللنبي موسى (عليه السلام) أُمّة، وللنبي عيسى (عليه السلام) أُمّة، وللرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) أُمّته أيضاً، وهكذا.

ثم إن هنالك (دوائر) عديدة وكثيرة، تدخل تحت (حماية) هذا الولي الصالح، أو تشملها شفاعة ذلك الإمام أو العالم أو المؤمن، وهنالك من يدخل في شفاعته (فئام) من الناس، وهنالك من تتسع دائرته أكثر أو تقل عن ذلك، وهنالك الذي (لا يُشفع له) إلا بعد مداقة في الحساب وبعد فترة طويلة، وهنالك الذي (يُشفع له) بسرعة ويسر[2]، حسب الحكمة الإلهية في مختلف تلك الموارد[3].

وإننا نجد في زيارة السيدة نرجس (عليها السلام) التصريح بأن لها (زمرة) وللإمام الحجة (عليه السلام) زمرة أكبر، وللرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله

---

(١) من الواضح أنه ليس المقصود من التكتلات المصطلح السياسي بما له من دلالات وظلال.

(٢) كالإمام الحسين (عليه السلام) الذي ورد في الحديث: إن سفينته أسرع وأوسع.

(٣) وربما يكون الأمر في الآخرة كمراتب الجيش في الدنيا: فهنالك ألوية وفرق وجنود، وحيث هنالك دوائر صغيرة تتدرج في دوائر أخرى أكبر منها، وهي بدورها مندرجة في دوائر أكبر فأكبر.

وسلم) الزمرة الكبرى التي تشمل كافة المعصومين (عليهم السلام) أيضاً، إذ نقرأ في الزيارات:[1]

(... أسأل الله أن يرينا فيكم السرور والفرج، وأن يجمعنا وإيّاكم في زُمرة جدكم محمد (صلى الله عليه وآله))[2].

وفي زيارة الإمام الحسين(عليه السلام): (يا سيدي ومولاي أدخلني في حزبك وزُمرتك)[3].

وفي وداع الإمام الرضا (عليه السلام) نقرأ (... واحشرني معه وفي حزبه)[4].

بل إن الناس حتى وهم في الطريق إلى الجنة، أو وهم متجهون نحو النار، قد جعلهم الله زُمراً وفرقاً، قال تعالى:

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً﴾[5]

وقال سبحانه: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً﴾[6].

ربما تكون الفلسفة في معادلة (الزُمر) هذه، هي قاعدة التجانس

---

(١) راجع تهذيب الأحكام: ج٦ ص١١٧ باب ٥٣ فيما يقول الزائر إذا ناب عن غيره. وبحار الأنوار: ج٩٧ ص١٨٧ ح١١ ب٦ زيارته (صلى الله عليه وآله) من البعيد. والبحار: ج٩٨ ص٢٢٦ ح ٣٤ ب٥٣ زيارته صلوات الله عليه المطلقة. والبحار: ج٩٩ ص٢٠٥ ب ٥٧ الزيارات الجامعة، رقم ١٣ وغيرها.

(٢) مفاتيح الجنان: زيارة السيدة المعصومة (عليها السلام).

(٣) مفاتيح الجنان.

(٤) مفاتيح الجنان.

(٥) سورة الزمر: ٧٣.

(٦) سورة الزمر: ٧١.

والسنخية التي تراعى في كل مجموعة متماثلة أو متقاربة في الأفكار والأعمال والولاء، فتحشر معاً وتنتظم تحت راية واحدة في الموقف، ثم في الحركة نحو الجنة أو النار.

وهذا المبحث مفصل وسنتحدث عنه في مقال مستقل إن شاء الله تعالى عقلياً وتصويرياً، وعلى ضوء الأحاديث والروايات ضمن كتيب أو كتاب عن (مشاهد من يوم الحشر الأكبر)[1].

و بعد كل ذلك فإن (مرافقة أولياء الله الصالحين) في الدنيا والآخرة لها القيمة الكبرى، ولذلك يقول جل وعلا:

﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً﴾[2]

وهكذا فإن الرب جل وعلا (يثيب) على إطاعته وإطاعة رسوله، بأن يتفضل عليهم بـ (المعية) للنبيين والصديقين والشهداء والصالحين، ثم يؤكد ذلك الفضل موضحاً أهميته بـ (وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً).

ومن الأكيد أن هذه المرافقة منشأ الخيرات والبركات والرحمة المتواصلة الإلهية، إضافة إلى الآثار المباشرة الناجمة عن مصاحبة أولياء الله وأنبيائه، وإذا كانت مرافقة (العالم) أو(السياسي) أو (الأديب) أو(الأمير) أو أي

---

(١) خطرت بالبال فكرة كتابة كتاب عن (مشاهد تصويرية من يوم الحشر الأكبر) وأنا أقرأ في (الصحيفة السجادية) تصويراً رائعاً مهيباً لبعض مشاهد يوم القيامة، والله الموفق لكتابة هذا المبحث، وبحوث أخرى كثيرة أعددت قسماً من رؤوس نقاطها للكتابة، وأنا في السجن أو خارجه بإذن الله تعالى.

(٢) سورة النساء: ٦٩.

شخص كان له شأن خطير، مادي أو معنوي في الدنيا، ذات أثر بالغ في (تكاملية الإنسان) أو في تحقيق عدد من طموحاته أو (تمشية) جانب من أموره، فإن هذه (المرافقة) ستكون ذات فوائد وآثار لا تعدّ ولا تحصى عند ما تكون مع أعلى قمم البشرية مكانةً وشموخاً وسمواً وكمالاً، باعتبارها وعداً إلهياً وثواباً ربانياً على إطاعة الله سبحانه ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) وبذلك نعرف قيمة الدعاء الوارد في زيارتها (عليها السلام): (وارزقني مرافقتها)[1].

(١) مفاتيح الجنان: زيارة والدة الامام القائم (عجل الله تعالى فرجه الشريف).

... وماذا عن سند الزيارة؟

[تستوقفنا في زيارة السيدة نرجس (عليها السلام) مقاطع كثيرة، ولنا أن نستنبط منها حقائق هامة في جوانب عقائدية وأخلاقية وفكرية وغيرها.

ولقد اقتبسنا في هذا الكتاب من هذه الزيارة، محاولين قدر الإمكان أن نطعم كل مبحث بإحدى فقراتها، فأضحت لئالي وجواهر ودرر منثورة على امتداد الكتاب.

وبقيت هنا عدة نقاط ترتبط بالجانب السندي للزيارة، وتأملات حول الطابع العام للزيارة، وبعض النقاط الهامة سنشير إليها بإذنه تعالى.]

إشارة عابرة للجانب السندي:

[فتوثيق[1] الرواية (صحتها، أو وثاقتها، أو حسنها، على الاصطلاح المعروف في علم الدراية وعلم الرجال)، وكذلك توثيق أي نقل لحدث تاريخي معين يتم عبر إحدى الطرق التالية:

١: عبر توثيق رجال سند الرواية، والاطمئنان بصدق كلامهم، وبجهة الكلام أيضاً.

---

(١) كلمة (توثيق) هنا يراد بها: المعنى اللغوي الجامع بين معاني المصطلحات الرجالية الثلاثة.

٢ : أو عبر الشهرة الروائية ، أو عبر الشهرة الفتوائية ـ فيما تضمن حكماً شرعياً ـ .

٣ : أو عبر القرائن ـ المقالية أو المقامية ـ المكتنفة بالرواية أو الحادثة التاريخية ، سواء كانت تلك القرائن خارجية أم داخلية : كقوة المضمون مثلاً .

فالعديد من خطب أو كلمات (نهج البلاغة) يمكن الاطمئنان بصحته وبصدوره من الإمام (عليه السلام) والاستناد إليه شرعاً عبر الاستناد إلى قوة المضمون ، وإن لم تتصل حلقات الإسناد ، أو لم تكن الرواة قد توفرت فيهم شرائط الوثاقة فرضاً .

وكذلك يمكن الاستناد ـ في عدد من الروايات المتضمنة للتطرق لثواب إلهي على عمل معين ـ إلى قاعدة (التسامح في أدلة السنن) التي وضع أساسها الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) في رواية (من بلغه)[1] .

---

(١) راجع المحاسن : ص٢٥ ح١ كتاب ثواب الأعمال ، الباب الأول ، ثواب من بلغه ثواب شيء فعمل به : أحمد بن أبي عبد الله البرقي ، عن أبيه ، عن أحمد بن النضر ، عن محمد بن مروان ، عن أبي عبد الله (عليه السلام) : (من بلغه عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) شيء فيه الثواب ففعل ذلك طلب قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان له ذلك الثواب وإن كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يقله).

والمحاسن : ص٢٥ ح٢ كتاب ثواب الأعمال الباب الأول ثواب من بلغه ثواب شيء فعمل به : وعنه ، عن علي بن الحكم ، عن هشام بن سالم ، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : (من بلغه عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) شيء من الثواب فعمله كان أجر ذلك له وإن كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يقله).

والكافي : ج٢ ص٨٧ ح١ باب من بلغه ثواب من الله على عمل : علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن سالم ، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : (من سمع شيئاً من الثواب على شيء فصنعه ، كان له وإن لم يكن على ما بلغه). ◄

وهنالك مسالة أخرى جديرة بالالتفات، ذلك أن مستند الحجية في (الإسناد) و(الظواهر) و(الجهة) هو بناء العقلاء، وفي القضايا التاريخية فإن (بناء العقلاء) لا يتحدد ضمن الشرائط الرجالية ولايتأطر بها عادة.

وبعبارة أخرى:

فإن الشرائط التي اعتبرت في علمي الدراية والرجال لصحة أو وثاقه أو حسن الرواية، هي فيما إذا كان الحديث أو الرواية يتضمن حكماً شرعياً إلزامياً يراد إثباته بهذا الإسناد، وفي غير ذلك فإننا نجد (بناء العقلاء) على الاعتماد على النقل التاريخي ولو كان راويه غير مستجمع للشرائط الرجالية ـ إلا ما خرج بالدليل ـ وذلك جار في كل الأمم والملل وفي شتى الحوادث التاريخية، وعلى ذلك جرت سيرتهم، بل وسيرة المتشرعة أيضاً.

وبالنسبة لزيارة السيدة نرجس (عليها السلام) فإن الفحص إن أوصلنا إلى العثور على سند متصل لتلك الرواية فبها، وإن أوصلنا إلى العثور على سند لكلي تلك الزيارة ـ أي دل على ورود هذه النصوص أو شبهها لكلي من كان على شاكلتها، كالسيدة فاطمة بنت أسد (عليها السلام) التي تشاكل زيارتها زيارة السيدة نرجس (عليها السلام) ـ فكذلك أيضاً، بلحاظ القرائن المقامية والمقالية الأخرى المحتفة بها والدالة على سمو مكانتها، والتي أشير

▶

والكافي: ج٢ ص٨٧ ح٢ باب من بلغه ثواب من الله على عمل: محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن محمد بن سنان، عن عمران الزعفراني، عن محمد بن مروان، قال: سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول: (من بلغه ثواب من الله عليه على عمل فعمل ذلك العمل التماس ذلك الثواب أوتيه وإن لم يكن الحديث كما بلغه).

إليها في جوانب عديدة من هذا الكتاب.

وإن لم يتم هذا ولا ذاك، فإن اعتضاد الزيارة بقوة المضمون ومطابقة مضامينها للقرائن المقامية والمقالية، وما ذكر في قضية الأحداث التاريخية، ربما يصلح شاهداً عرفياً يستكشف عنه صدور فقرات تلك الزيارة أو مضامينها من مصادرها المعتبرة، وإلا فإنها يمكن أن تعتبر من المؤيدات، أو يقال: إنها نقلت تيمناً وتبركاً، وبرجاء المطلوبية، كما يقرأها بعض المتدينين كذلك، فتأمل.

والأمر بحاجة إلى تتبع وتأمل، ولا أملك الآن أي مصدر رجالي أو درائي ولا أاي كتاب دعاء (باستثناء مفاتيح الجنان) أرجع إليه، والله المستعان .]

فلسفة الأدعية والزيارات

زيارة السيدة نرجس (عليها السلام) كبقية الزيارات تفيض بالتركيز الكبير على قضيتين أساسيتين:

١: فهي من جهة تركز على العلاقة الرابطة بين الولي الصالح وبين الرب، وكذا بين الزائر والمزور، فهناك مجموعة من المثل والمواصفات والقيم المتجسدة فيمن يُزار والتي تربط الزائر بالمزور والمقصد النهائي، بين الخالق والمخلوق والوسطاء الربانيين، وهي بذلك تقوم بعملية مزدوجة بالغة الروعة.

فهي أولاً تقوم بالتعريف بالصورة المشرقة لإولياء الله الصالحين، مجهزة بذلك على كل مجادلات التحريف ومخططات التشويه والتلويث التي حاولتها عن عمد أيدي الجبابرة وأبواقهم وعملاؤهم الذين كانوا يشنون أقسى الحروب السياسية والإعلامية والعسكرية ضد المعصومين (عليهم السلام) وأبنائهم وذويهم ومن يرتبط بهم.

وهي تقوم ثانياً بعملية نفسية .. تربوية، مضاعفة عبر دفع المرء - وبطريقة ذكية غير مباشرة وعبر استثارة فطرة الإنسان المنطوية على تقديس العظماء ومحاولة (تقمّص) شخصياتهم والاحتذاء بهم - لـ: الاتصاف بتلك المواصفات المثالية وترجمتها في حياته العملية وممارساته اليومية، الفردية منها والاجتماعية.

ثم هي ـ أي هذه الزيارة وساير الزيارات ـ تصب كل ذلك في قوس الصعود المتجه نحو رب الأرباب وإله العالمين، فتخلع عليه إطاراً ودثاراً من (الطريقية) نحو الإله العلى الكبير[1].

٢: وهي من جهة ثانية تقوم بـ (توجيه) الإنسان نحو استكشاف مفاتيح الفلاح وأسرار السعادة والنجاح، فهي التي (تعلّمه) الحاجات الاستراتيجية التي ينبغي عليه أن يطلبها من الباري جل وعلا، وترشده إلى (مواطن الخلأ) و(مكامن الضعف) التي عليه أن يمدّ إلى الله يديه ضارعاً مبتهلاً كي يمنحه من فضله (الغنى) ويهبه من لطفه (الكمال).

ففي زيارة أبي الفضل (عليه السلام) ـ كمثال ـ نجد الجهتين تتألقان ببريق مشرق أخّاذ:

أ: (... **اَشْهَدُ لَكَ بِالتَّسْليمِ وَالتَّصْديقِ، وَالوَفاءِ وَالنَّصيحَةِ، لِخَلَفِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) المُرْسَلِ، وَالسِّبْطِ المُنْتَجَبِ، وَالدَّليلِ العالِمِ، وَالوَصِيِّ المُبَلِّغِ، وَالمَظْلُومِ المُهْتَضَمِ، فَجَزاكَ اللهُ عَنْ رَسُولِهِ وَعَنْ اَميرِ المُؤْمِنينَ، وَعَنْ فَاطِمَةَ، وَعَنِ الحَسَنِ وَالحُسَيْنِ، (صَلَواتُ اللهِ عَلَيْهِمْ)، اَفْضَلَ الجَزاءِ، بِما صَبَرْتَ وَاحْتَسَبْتَ وَاَعَنْتَ، فَنِعْمَ عُقْبَى الدّارِ. لَعَنَ اللهُ مَنْ قَتَلَكَ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ جَهِلَ حَقَّكَ، وَاسْتَخَفَّ بِحُرْمَتِكَ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ حَالَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ماءِ الفُراتِ. اَشْهَدُ اَنَّكَ قُتِلْتَ مَظْلُوماً، وَاَنَّ اللهَ مُنْجِزٌ لَكُمْ ما وَعَدَكُمْ، جِئْتُكَ يَا بْنَ اَميرِ المُؤْمِنينَ وَافِداً اِلَيْكُمْ، وَقَلْبي مُسَلِّمٌ لَكُمْ وَتابِعٌ، وَاَنَا لَكُمْ**

---

(١) عصر يوم ٤ / شعبان / ١٤١٧هـ.

تابِعٌ، وَنُصْرَتي لَكُمْ مُعَدَّةٌ، حَتّى يَحْكُمَ اللهُ وَهُوَ خَيْرُ الحاكِمينَ، فَمَعَكُمْ مَعَكُمْ، لا مَعَ عَدُوِّكُمْ، اِنّي بِكُمْ وَبِإيابِكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنينَ، وَبِمَنْ خالَفَكُمْ وَقَتَلَكُمْ مِنَ الكافِرينَ، قَتَلَ اللهُ اُمَّةً قَتَلَتْكُمْ بِالأَيْدي وَالألسُنِ).

ثم تدخل الروضة وتلصق نفسك بالضريح الشريف وتقول:

(اَلسَّلامُ عَلَيْكَ اَيُّهَا العَبْدُ الصّالِحُ، المُطيعُ لله وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَميرِ الْمُؤْمِنينَ وَالحَسَنِ والحُسَيْنِ ... اَشْهَدُ واُشْهِدُ اللهَ اَنَّكَ مَضَيْتَ عَلَى مَا مَضى بِهِ البَدْرِيُّونَ، وَالْمُجاهِدُونَ فِي سَبيلِ اللهِ ... اَشْهَدُ اَنَّكَ قَدْ بالَغْتَ فِي النَّصيحَةِ، وَاَعْطَيْتَ غايَةَ المَجْهُودِ ...)[1].

ب: ثم تدعو بعد صلاة الزيارة وتقول:

(اَللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَلاتَدَعْ لي فِي هَذَا المَكانِ الْمُكَرَّمِ، وَالمَشْهَدِ الْمُعَظَّمِ، ذَنْباً اِلاّ غَفَرْتَهُ، وَلا هَمّاً اِلاّ فَرَّجْتَهُ، وَلا مَرَضاً اِلاّ شَفَيْتَهُ، وَلا عَيْباً اِلاّ سَتَرْتَهُ، وَلا رِزْقاً اِلاّ بَسَطْتَهُ، وَلا خَوْفاً الاّ آمَنْتَهُ، وَلا شَمْلاً اِلاّ جَمَعْتَهُ، وَلا غائِباً اِلاّ حَفَظْتَهُ وَاَدْنَيْتَهُ، وَلا حاجَةً مِنْ حَوائِجِ الدُّنْيا وَالآخِرَةِ لَكَ فيها رِضىً، وَلِيَ فيها صَلاحٌ، اِلاّ قَضَيْتَها يا اَرْحَمَ الرّاحِمينَ).

وتقول:

(...فَأَسْأَلُكَ اَنْ تُصَلِّيَ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطّاهِرينَ، وَاَنْ تَجْعَلَ رِزْقي بِهِمْ دارّاً، وَعَيْشي بِهِمْ قارّاً، وَزِيارَتي بِهِمْ مَقْبُولَةً، وَحَياتي بِهِمْ طَيِّبَةً، وَاَدْرِجْني

---

(١) مفاتيح الجنان: زيارة أبي الفضل العباس (عليه السلام).

إدْراجَ المُكْرَمينَ، وَاجْعَلْني مِمَّنْ يَنْقَلِبُ مِنْ زِيارَةِ مَشاهِدِ اَحِبّائِكَ مُفْلِحاً مُنْجِحاً، قَدِ اسْتَوْجَبَ غُفْرانَ الذُّنُوبِ، وَسَتْرَ العُيُوبِ، وَكَشْفَ الكُرُوبِ، اِنَّكَ اَهْلُ التَّقْوى وَاَهْلُ المَغْفِرَةِ)[1].

وفي زيارة السيدة نرجس (عليها السلام) ـ وتقرب منها زيارة السيدة فاطمة بنت أسد (عليها السلام) والدة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)[2]:

أ: (... السّلامُ عَلَى وَالِدَةِ الإمَامِ، وَالمُودَعَةِ أَسْرَارِ المَلِكِ العَلاّم، وَالحامِلَةِ لِأَشْرَفِ الأَنَامِ، السّلامُ عَلَيْكِ أَيَّتُهَا الصّدِيقَةُ المَرْضِيَّة ... السّلامُ عَلَيْكِ أَيَّتُها التَّقِيةُ النّقِية.. السّلامُ عَلَيْكِ أَيَّتُها الرَّضِيّةُ المَرْضِيّة ... السلامُ عَلَيْكِ وَعَلَى آبائِكِ الحواريين.. السّلامُ عَلَيْكِ وَعَلَى بَعْلِكِ وَوُلْدِكِ ... أَشْهَدُ أَنَّكِ أَحْسَنْتِ الكِفَالَةَ، وَأَدَّيْتِ الأمانَةَ، واجْتَهَدْتِ في مَرْضَاةِ الله، وَصَبَرْتِ في ذاتِ الله، وَحَفَظْتِ سِرَّ الله، وَحَمَلْتِ وَلِيَّ الله، وَبَالَغْتِ في حِفْظِ حُجَّةِ الله، وَرَغِبْتِ في وُصْلَةِ أبناءِ رَسُول الله، عَارِفَةً بِحَقّهِم، مُؤمنَةً بِصِدْقِهِم، مُعْتَرِفَةً بِمَنْزِلَتِهِم، مُسْتَبْصِرَةً بِأَمْرِهِم، مُشْفِقَةً عَلَيهم، مُؤْثِرَةً هَواهُم، وَاَشْهَدُ اَنَّكِ مَضَيْتِ عَلَى بَصِيرةٍ مِنْ أَمْرِكِ، مُقْتَدِيَةً بِالصّالحين، راضِيَةً مَرْضِيَّةٌ، تَقِيَّةً نَقِيَّةً زَكِيَّة، فَرَضِيَ اللهُ عَنْكِ وَأَرْضَاكِ ...)[3].

ب: (اللّهُمَّ إيّاكَ اعْتَمَدْتُ، وَلِرِضاكَ طَلَبْتُ، وَبِأَوليائِكَ إلَيْكَ تَوَسَّلْتُ،

---

(١) مفاتيح الجنان: زيارة أبي الفضل العباس (عليه السلام).

(٢) مفاتيح الجنان: بعد زيارة أئمة البقيع (عليهم السلام).

(٣) مفاتيح الجنان: زيارة السيدة والدة الإمام القائم (عليه السلام).

وَعَلَى غُفْرانِكَ وَحِلْمِكَ اتَّكَلْتُ، وَبِكَ اعْتَصَمْتُ، وَبِقَبرِ أمّ وَلِيِّكَ لُذْتُ، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ محمدٍ وَانْفَعني بِزِيارَتِهان وَثَبِّتْني عَلَى محبَّتِها، ولا تحرِمْني شَفاعَتَها وَشَفاعَةَ وَلَدِها .. اللهُمّ إنّي أتَوَجَّهُ إلَيكَ بالأَئِمَةِ الطاهِرين، وَأتَوَسَّلُ إلَيكَ بِالحُجَجِ الميامِينَ مِنْ آلِ طَهَ وَيَس، أنْ تُصَلّيَ عَلَى محمدٍ وَآلِ محمد الطيبين، وَاَنْ تَجْعَلَني مِنَ المطمَئِنينَ الْفَائِزينَ الْفَرِحينَ الْمُسْتَبْشِرينَ الذِينَ لا خَوْفٌ عَلَيهم وَلا هُم يحزَنُون، وَاجْعَلْنِي مِمَّنْ قَبِلْتَ سَعْيَهُ وَيَسَّرْتَ أَمْرَهُ وَكَشَفْتَ ضُرَّهُ، وَآمَنْتَ خَوْفَه، اللهُمَّ بحقِ محمدٍ وَآلِض محمدٍ صَلِّ عَلَى محمدٍ وآلِ محمدٍ وَلا تَجْعَلْهُ آخِرَ الْعَهْدِ مِنْ زِيارَتِها ...)[1].

(١) مفاتيح الجنان : زيارة السيدة والدة الإمام القائم (عليه السلام).

ثبتني اللهم على محبتها [1]

(النعم الإلهية) عطاء رباني، والعطاء الإلهي في استمراريته مشروط بشروط وخاضع لعدد من الضوابط البسيطة جداً والهامة جداً ومن تلك العوامل: شكر الله تعالى على تلك النعم.

ومنها أيضاً: الابتهال إلى الله تعالى كي يتفضل بالإبقاء كما تفضل بالابتداء[2].

و(محبة أهل البيت (عليهم السلام)) من أهم النعم الإلهية على الإطلاق، بل هو الطلب الأساسي و(الأجر) الوحيد الذي طلبه الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) من الأُمة إزاء جهوده الجبارة وأتعابه الهائلة كلها: ﴿قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[3].

وهذا (الأجر) هو في الحقيقة عائد لنا ولصالحنا نحن، ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾[4] أي إن (الثمن) و(المثمن) كلاهما عائدان لنا! وهذا من أعظم فضل الله تعالى، ولذلك نجد في زيارة السيدة نرجس (عليها السلام) كالزيارات الأخرى: التضرع الى الله تعالى في ذلك، فإننا نقرأ في زيارة

---

(١) عصر يوم ٥/ شعبان / ١٤١٧هـ.

(٢) حول هذا المبحث سأكتب بأذنه تعالى مقالاً مفصلاً وربما كتيباً أو كتاباً.

(٣) سورة الشورى: ٢٣.

(٤) سورة سبأ: ٤٧.

السيدة (عليها السلام): (...فَصَلِّ عَلَى محمدٍ وَآلِ محمد ... وَثَبِّتْني عَلَى مَحَبَّتِهَا ...)[1].

وسنستشعر أهمية هذا الدعاء ونظائره أكثر عند ما نتذكر الأحاديث الواردة في أن (الإيمان) منه مستقر ومنه مستودع[2]، قال تعالى: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾[3]، وما أغلى هذه الأمانة والوديعة الإلهية، وما أخطر أعداؤها من شياطين الجن والإنس، وما أفتك شباكهم، ولذلك أيضاً كان التركيز في الأدعية والزيارات على طلب التثبيت على المحبة والإيمان وعلى حسن العاقبة.

---

(١) مفاتيح الجنان.

(٢) راجع الكافي: ج٢ ص٤١٨ ح٤ باب المعاريف: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن إسماعيل بن مرار، عن يونس، عن بعض أصحابنا، عن أبي الحسن (عليه السلام) قال: (إن الله خلق النبيين على النبوة فلا يكونون إلا أنبياء، وخلق المؤمنين على الإيمان فلا يكونون إلا مؤمنين، أعار قوماً إيماناً فإن شاء تممه لهم وإن شاء سلبهم إياه، وفيهم جرت (فمستقر ومستودع) سورة الأنعام: ٩٨، وقال لي إن فلاناً كان مستودعاً إيمانه فلما كذب علينا سلب إيمانه).

وفي تفسير العياشي: ج١ ص٣٧١ ح ٦٩ تفسير الآية ٩٨ من سورة الأنعام: عن أبي بصير، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال قلت: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ الأنعام: ٩٨، قال: ما يقول أهل بلدك الذي أنت فيه؟ قال: قلت يقولون مستقر في الرحم ومستودع في الصلب، فقال: كذبوا، المستقر ما استقر الإيمان في قلبه فلا ينزع منه أبداً، والمستودع الذي يستودع الإيمان زماناً ثم يسلبه وقد كان الزبير منهم).

(٣) سورة الأنعام: ٩٨.

الزيارة رمز ولاء وينبوع عطاء

وبعد ذلك نجد في زيارة السيدة (عليها السلام) دعاءً آخر له دلالته الكبرى أيضاً وهو : (... **وَلا تَجْعَلْهُ آخِرَ الْعَهْدِ مِنْ زِيَارَتِها** ...)[1] لماذا؟

لأن مزارات المعصومين (عليهم السلام) وأولياء الله الصالحين وزياراتهم هي (عامل تواصل) و(رمز ولاء) و(ينبوع عطاء)، وهي تجسيد عملي للإيمان القلبي ونوع تجلّ للمحبة والإقتداء، على الجوارح والأركان واللسان، وهي أيضاً (ملتقى أولياء الله) و(معهد صقل النفوس وتهذيبها) و(مدرسة التكامل الفكري والعملي أيضاً).

وهي كذلك مهبط الرحمة الربانية، ومختلف الملائكة، ومظان استجابة الدعوات الضارعة.

وهي أيضا المغتسل البارد والشراب الطهور.

وهي أيضاً بوابة عالم الآخرة، والعين الناضرة، والجسر الواصل بين الخلائق والخالق.

وهي الطريق المعبد للسيطرة على شهوات الجسد والانطلاق إلى آفاق الملكوت وعوالم اللاهوت.

فهي المسير، وهي المصير.

---

(١) مفاتيح الجنان: زيارة السيدة والدة الإمام القائم (عجل الله تعالى فرجه الشريف).

وهي الدليل، وهي الدلالة.

وهي الرُّوح، وهي الرَّوح.

وهي اللب، وهي الشكل.

وهي الملاذ، وبها المعاذ.

وهي الجمال، وهي الكمال.

إنها (عليها السلام): حضيرة القدس (الربوي)، وقوس الصعود، ورمز الخلود ...[1].

(١) ربما أوفق لكتابة مقال مستوعب حول هذا المبحث بجوانبه المختلفة، وعسى أن يقيض الله غيري للقيام بهذه المهمة.

الفصل السادس

بعد رحيل الإمام العسكري

عليه السلام

إرهاب بعد وفاة الإمام عليه السلام

[لقد واصلت السيدة أم الإمام المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف) مسيرتها الجهادية الحافلة طوال حياة الإمام الحسن العسكري (عليه السلام)، كما سبق الحديث عن ذلك .

وعندما تلبدت السماء قبيل وفاة الإمام العسكري (عليه السلام) ـ في مرضه الأخير ـ بغيوم مكفهرة ونذر موحشة، كانت (عليها السلام) أيضاً ـ كما سنرى بعد قليل ـ صامدة، صابرة، رابطة الجأش وحكيمة أيضاً.

فقد تفجر الوضع بمجرد أن بلغت مسامع السلطان أنباء مرض الإمام العسكري (عليه السلام) فتعرضت دار الإمام للحصار، بل تجاوزت السلطات الحد لترسل مجموعة من قواتها إلى داخل دار الإمام (عليه السلام) كي ترابط وتراقب كل شاردة وواردة، راصدة كل همسة وحركة[1]، منتهكة بذلك حرمة دار الإمام (عليه السلام) ومتجاوزة أبسط الحقوق الشرعية والقانونية والعرفية وأكثرها بداهةً بالنسبة لأي إنسان، فكيف بذراري الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) وبيت الإمامة وحجة الله على وجه الأرض!

وعند ما لبى إمامنا العسكري (عليه السلام) نداء ربه، وارتحل إلى جوار آبائه الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين) مسموماً شهيداً، بلغت الضغوط ذروتها، فقد بعث السلطان إلى داره (عليه السلام) من يفتشها ويفتش حجرها،

---

(١) قد سبق الحديث عن ذلك في مبحث (الضغط السياسي) و(الحصار الأمني): راجع إكمال الدين: ص٤٢- ٤٣.

وختم على جميع ما فيها)[1].

بل لقد (كبست دار الإمام (عليه السلام) الخيل واشتغلوا بالنهب والغارة)[2]، وقد كانت الجلاوزة من الوحشية والدناءة بحيث يصرح أحدهم قائلاً : (دخلت إلى دار العسكري بعد وفاته، فكسرت بابها، وأخذت منها طبرزين ...)[3].

لقد كان البحث جاداً وعلى قدم وساق من الوليد المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف)، ذلك الخطر الذي كان يقض مضاجع السلطات ويؤرقهم محولاً نهارهم إلى ليل أسود مظلم. وتعرض الشيعة بشكل عام لمحنة كبيرة، فلقد (اضطرب السلطان وأصحابه في طلب ولده ـ أي ابن الإمام العسكري (عليه السلام) ـ وكثر التفتيش في المنازل والدور)[4].

إنها كانت إذن عملية (استنفار شاملة)، و(حالة طوارئ قصوى) فالسلطان وأصحابه (يضطربون) في طلب الإمام المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف) والتفتيش لا يتوقف عند حد !!.

يقول الشيخ المفيد (قدس سره) : (... وجرى على مخلفي أبي محمد (عليه السلام) ـ أي من خلفه الإمام العسكري (عليه السلام) من أسرته ومن يلوذ به ـ بسبب ذلك كل عظيمة من اعتقال وحبس وتهديد وتصغير واستخفاف وذل ...)[5].

---

(١) إكمال الدين : ص٤٣.

(٢) إكمال الدين : ص٤٧٣.

(٣) يوم الخلاص : ص ١٠٦ نقلاً عن الإرشاد والكافي وغيرهما.

(٤) إكمال الدين : ص٤٣.

(٥) الإرشاد : ص ٣٢٥، وعنه بحار الأنوار : ج٥٠ ص٣٣٤.

خطة ذكية وشجاعة كبيرة

[في مثل هذا الظرف، وفي هذا المنعطف الخطير، كان للسيدة نرجس - مليكة (عليها السلام) موقف فريد، يكشف عن حكمة بالغة وشجاعة نادرة.

فعند ما رأت (عليها السلام) السلطات جادة في البحث عن الإمام المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف) - وكان (عليه السلام) إذ ذاك في الخامسة من العمر، مستوراً عن الأعين، مخفياً عن السلطات أمره وأمر ولادته - وعند ما رأت الضغط يطال منازل كثيرة والشيعة في كرب وضيق وفي معرض المداهمات الهمجية في كل حين.

عند ذلك أعلنت السيدة نرجس (عليه السلام) أنها حامل !!.

فاعتقلت على الفور!!.

ولكن لماذا ؟. وكيف؟.

لقد كان الصبي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) في الخامسة من العمر، إلا أن التكتم الشديد على ولادته كان قد أخفى على السلطات أمره وحتى على كثير من أقارب الإمام (عليه السلام)، فلم يكن يعلم أنه قد وُلد أم لا، وأين هو على تقدير ولادته، إلا أن السلطات (كانت شديدة الطلب له، جادة مجتهدة في البحث عن أمره، لما شاع من مذهب الشيعة الإمامية فيه، وعرف من انتظار هم له)[1].

لكن ولأن (الإمام العسكري (عليه السلام) كان قد أخفى مولده وستر

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص٣٣٤ عن الإرشاد للشيخ المفيد، بتصرف.

أمره) لذلك (لم يظهر ولده في حياته ولا عرفه الجمهور بعد وفاته)[1].

وكان لذلك : أن أعلنت السيدة نرجس (عليها السلام) أنها حامل...

لقد استهدفت تضليل السلطات، وصرف الأنظار عن ذلك الوليد، الحجة، المترقب، المستتر (عجل الله تعالى فرجه الشريف) وهكذا تركت للسلطة أن تتوهم أنه لم يولد بعدُ، وأنها هي الحامل به !!

وبذلك تم الحصول على أمرين هامين:

أ: تخفيف الضغط على الشيعة والحيلولة دون كبس دورهم وتفتيشها بحثاً عن الإمام المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف) بدرجة معينة.

ب: توفير حماية عملية نسبية للإمام الحجة (عجل الله تعالى فرجه الشريف) إثر توهم أنه لا يزال حملاً، مما يخفف من حدة عمليات التفتيش والصد والرقابة.

ولننصت إلى شذرات تاريخية، تكشف لنا عن ذلك :

(...فوجه المعتمد ـ الخليفة العباسي ـ بخدمة فقبضوا على صقيل الجارية، وهي السيدة نرجس (عليها السلام) وكان من أسمائها صقيل كما سبق، فطالبوها بالصبي فأنكرته وادعت حبلاً بها لتغطي حال الصبي...)[2].

(...فادعت صقيل عند ذلك أنها حامل ...)[3].]

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٠ ص٣٣٤ عن الإرشاد للشيخ المفيد، بتصرف.

(٢) إكمال الدين: ص٤٧٦.

(٣) إكمال الدين: ص٤٧٤.

إلقاء القبض على السيدة نرجس عليها السلام

[وهكذا .. أُلقي القبض على السيدة نرجس (عليها السلام) و(حملت إلى دار المعتمد ـ الخليفة العباسي ـ فجعل نساء المعتمد وخدمه، ونساء الموفق وخدمه ونساء القاضي ابن أبي الشوارب، يتعاهدن أمرها في كل وقت ويراعون)[1].

إنها رقابة استثنائية، وحصار مؤلم، ومضايقات وإزعاج على مدار الساعة تتصدى لها خمس جهات ؟!.

أ : نساء المعتمد.

ب : وخدمه.

ج : نساء الموفق.

د : وخدمه.

هـ : نساء القاضي ابن أبي الشوارب.

والذي يظهر بوضوح أن (أزمة ثقة) كانت تعشعش داخل أجنحة السلطة، إذ لماذا تتصدى خمسة جهات للسيدة نرجس (عليها السلام) وتخضع لرقابة على مدار الساعة من قبل كل تلك الجموع!؟.

وقد تحملت السيدة (عليها السلام) كل ذلك العناء صابرةً، صامدةً، ومغتبطة أيضاً.

---

(١) إكمال الدين: ص٤٧٤.

أليست (عليها السلام) قد ضللت السلطات، ووفرت الحماية لولي الله الأعظم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) ؟!

ويا له من شرف وما أسماها من أمنية : أن يكون الإنسان جُنّة واقية ودرعاً حصينة لصاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف) ؟!

وقد ظلت السيدة أم الإمام القائم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) محتجزة في تلك الدار، خاضعة لذلك التفتيش والحصار إلى (أن دهمهم ـ أي السلطات العباسية ـ أمر الصغار، وموت عبيد الله بن يحيى بن خاقان بغتةً، وخروجهم من سرمن رأى وأمرصاحب الزنج بالصبرة وغير ذلك، فشغلهم ذلك عن الجارية فخرجت عن أيديهم والحمد لله رب العالمين).[1]

ومع ذلك (لم يزل الذين وكلوا بحفظ الجارية التي توهموا عليها الحبل، ملازمين لها سنتين وأكثر، حتى تبين لهم بطلان الحبل)[2].]

---

(١) راجع إكمال الدين: ص٤٧٤ و٤٧٦ الباب الثالث والأربعون ح٢٥.

(٢) إكمال الدين: ص٤٣، والذي يظهر من القرائن، وسياق الأحداث والترابط بينها: أن هذه الجارية هي نفس صقيل = السيدة نرجس (عليها السلام) ولذلك اعتبرنا هذا المقطع التاريخي مكملاً لحادثة القبض عليها، ومرشداً إلى الفترة التاريخية التي استمرت فيها الرقابة الحصار، والله العالم.

مقارنة مقتضبة[1]

...وأخيراً .

ما الذي ضحت به السيدة نرجس (عليها السلام)؟ وما الذي حصلت عليه؟.

ما الذي فقدته؟ وما الذي وجدته ؟.

ما الذي خلّفته؟ وما الذي أقدمت عليه ؟.

وعن ماذا سخت، وبم جادت، وبأيّ شيء استأثرت؟ :

طمأنينة النفس، وراحة الوجدان، ونقاوة الضمير، وسمو الروح، والذكر الحسن، والثناء الجميل، ولسان الصدق، والسمو في مدارج الكمال، وآفاق الرحمة، ومناقب ومكرمات تتوجها (الأمومة) لخليفة الرحمان وإمام الإنس والجان (عجل الله تعالى فرجه الشريف) و﴿نَعِيمٌ مُقِيمٌ﴾[2] و﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾[3]، ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ ...﴾[4].

هذه عناوين سريعة لأهم ما نالته وأحرزته السيدة نرجس (عليها السلام).

وفي المقابل: سلطان الجسد، وملذات الحياة، وكبكبة الملك، وسنوات

---

(١) ليلة ١١ / شعبان / ١٤١٧هـ .

(٢) سورة التوبة: ٢١.

(٣) سورة التوبة : ٧٢.

(٤) سورة القمر: ٥٥.

قلائل من دنيا، حلوها مرّ، وطويلها قصير، وكثيرها قليل، ونعيمها زائل، (في حلالها حساب، وفي حرامها عقاب، وفي الشبهات عتاب)[1].

هذا هو كل ما فقدته !.

وهل من (قياس) ؟.

وهل توجد بين القائمتين (نسبة)؟.

.. وبعد ذلك: الطغاة والجبابرة والملوك والعباسيون:

ما الذي فقدوا؟. وما الذي وجدوا ؟.

وعمَ سخوا؟. وبمَ جادوا؟

وخزات الضمير، وصرعات الوجدان، ودناءة الهمة، وحقارة الروح، ومهاوي رذيلة، ولذائذ عابرة، وسراب كاذب، وسمّ زعاف، ولعنات التاريخ، وعذاب إلهي أبدي.

هذه هي كل حصيلة أولئك في هذه الحياة.

والآن على كل واحد منا أن يقوم - كل يوم - بـ (عملية استبطان) و(محاسبة النفس) ليجد نفسه تقع في أية دائرة - في الصغير من أمورها والكبير- وتخضع لأية معادلة، وتنتهج أي المنهجين - في كل خطوة، وقرار، وحركة، وتصرف وكلمة - ومن ثم تتجه إلى أي المسيرين؟.

---

(١) بحار الأنوار: ج٤٤ ص ١٣٨ - ١٤٠ ح ٦ ب ٢٢، وراجع نهج البلاغة: الخطبة ٨٢.

في نهاية المطاف [1]

كي تتكامل الصورة عن حياة السيدة والدة الإمام (عجل الله تعالى فرجه الشريف) لابد من القيام بـ:

أ: رسم تصويري دقيق عن حياة البذخ والترف داخل الأسرة المالكة، وطريقة التعامل في البلاط الملكي، والوضع العام للإمبراطورية الرومية - استناداً في كل ذلك إلى المصادر التاريخية -، ومن ثم موقع السيدة (عليها السلام) من كل ذلك.

ب: لوحة توصيفية عن ظروف (الأسر والهجرة) والمخاطر المحدقة بهذه الهجرة الخطرة، وموقع (الأسيرة) وطريقه التعامل معها في تلك الفترة الزمنية الحساسة.

ج: دراسة دقيقة للظروف السياسية والاجتماعية التي كان يعيشها آل بيت الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) عند ما حلت السيدة (عليها السلام) بساحتهم، مروراً بفترة الحمل، ثم الولادة، ثم الفترة الزمنية التي عاشتها السيدة بعد ولادته (عجل الله تعالى فرجه الشريف) وبعد شهادة الإمام العسكري (عليه السلام).

د: تموجات هجرة السيدة (عليها السلام) على والدها ملك الروم وسائر أعضاء الأسرة المالكية، ثم هل كانت هنالك علاقة بينها وبين آل الرسول

---

(١) عصر يوم ١٠ / شعبان/ ١٤١٧هـ.

(صلى الله عليه وآله وسلم) من جهة، وبين العائلة المالكة طوال الفترة اللاحقة ؟!

وما هي التأثيرات الاجتماعية ـ الثقافية التي تركتها وصلتها بآل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) على الشعب الرومي، وهذا المبحث بحاجة إلى استقراء موسع لشتى المصادر التاريخية الإسلامية والرومية علّ بعضها يلقي شعاع ضوء على ذلك.

ولكي تتحول دراسة حياة السيدة (عليها السلام) إلى منهج كمال ومسار حياة، وإلى دليل ومرشد متوهج أبداً لا بد من [1]:

أ: عقد مؤتمرات دورية، تعني بالبحث عن شتى جوانب حياة السيدة (عليها السلام).

ب: تخصيص يوم من أيام السنة لتجديد ذكراها، يكون باسمها (عليها السلام) أو تخصيص أسبوع باسم أسبوع (المرأة) أو (الأم) ـ مثلاً ـ لإحياء ذكراها، وذكرى عدد آخر من عظيمات النساء.

ج: التزام الخطباء الأفاضل بالحديث عنها، وعن سيرتها وهجرتها وجهادها ومكارم أخلاقها و... في أيام من شهري شعبان ورمضان المبارك، وفي عدد من أيام الجمعة أو ما أشبه، وكذلك تعهد الكتاب والشعراء والأدباء بالكتابة حولها والحديث عنها.

د: تسمية الأولاد، والمؤسسات الدينية، والمعاهد العلمية، والبرامج التربوية باسمها (عليها السلام) ـ على تنوع تسمياتها.

---

(١) ليلة ١١ / شعبان / ١٤١٧ هـ.

وختاماً

وختاماً فإنني أعترف بالقصور والتقصير في أداء حتى جزء ضئيل من ذلك الحق العظيم العظيم، وأرجو مع ذلك أن تحظى هذه الخدمة المتواضعة بالقبول لدى معادن الكرم وينابيع الفضل والجود والعطاء (عليهم أفضل الصلاة والسلام).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين.

ليلة الأحد / ليلة ١١ شعبان / ١٤١٧هـ
في زاوية من زوايا السجن، والأمر كله لله
مرتضى الشيرازي

الفهرس

كلمة الناشر . ٥

زيارة السيدة نرجس (عليها السلام) . ٨

السيدة نرجس عليها السلام في سطور . ١٠

المقدمة ١٢

قصة الكتاب ومنهجه . ١٢

المدخل ١٧

آفاق في كلمات ١٧

الفصل الأول :

ملامح عن عظمة السيدة نرجس (عليها السلام) ١٩

الاختيار الإلهي . ٢١

الأُمنية الكبرى ٢٤

معادلات تكوينية . ٢٨

واسطة الفيض الإلهي ٣٠

الصدقة الجارية ٣٣

المستودعة أسرار رب العالمين . ٣٤

الفصل الثاني :
قبس من الأحداث ٣٩

ومیض من أعماق الزمن . ٤١
في عالم الملكوت . ٤٣
إخراج الهي وصياغة ربانية . ٤٥
زلزال في القصر الملكي ٤٩
تأملات ٥١
الهجرة المقدسة ٥٤
رؤيا صادقة ٥٧
الأميرة ـ الأسيرة! . ٦٠
المهمة السرية . ٦٢
الانتخاب النموذجي . ٦٥
ملاحظات أمنية : ٦٧
الأحلام الوردية . ٦٩
اللقاء الأول . ٧١
استنتاجات ٧٣
لقاء حار بين امرأتين . ٧٥
الزواج المبارك . ٧٧
زوجة ولا غير ٨١
ماذا وراء التسميات المتكثرة ؟ ٨٥
بشائر متتالية . ٨٩
الرحم الطاهر . ٩١
بين أم المهدي وأم موسى عليهما السلام . ٩٣
مولد النور ٩٧

نفحات غيبية . ١٠٢

الفصل الثالث:
مدرسة الجهاد والفضائل ١٠٥

مدرسة الجهاد . ١٠٧
الضغط السياسي والحصار الأمني ١٠٨
على خطى فرعون ١١٣
رقابة واعتقال . ١١٤
التحلي بالصمت والكتمان . ١١٦
الامتحان المصيري ١١٨
الامتداد التاريخي . ١٢٢
مناقبيات أخرى . ١٢٥
صلاة في السحر . ١٢٥
تكريس العلاقة بالله . ١٢٦
عفاف وشجاعة وصمود . ١٢٧
ثقافة مبكرة ١٢٩

الفصل الرابع:
الانتصارات الكبرى والأسلحة الاستراتيجية ١٣١

القيادة والمسئولية . ١٣٣
معارك ضارية . ١٣٥
أسلحة استراتيجية ١٣٧
١ : سلاح المعرفة . ١٣٧
أ ـ حقوق آل الرسول عليهم السلام : ١٤٠

ب ـ مكانة آل الرسول ﷺ : ١٤١
ج ـ أمر آل الرسول ﷺ . ١٤٢
٢ : الإيمان الراسخ ١٤٦
٣ : الشحنة العاطفية . ١٤٩
شواهد صدق . ١٥٠
العاطفة وعملية استنقاذ الأسرى . ١٥٢
استنتاج ومقارنة . ١٥٥
٤ : القمة في الإيثار ١٥٨
٥ : العزم والمضاء . ١٦٣
معاناة اجتماعية . ١٦٨
٦ : مقتدية بالصالحين . ١٧٠

الفصل الخامس :
العطاء الإلهي ١٧٣

العطاء الرباني . ١٧٥
ورضوان من الله اكبر . ١٧٥
أعطاها حتى أرضاها . ١٧٧
الشفاعة : بوابة رحمة ١٨٠
الشفاعة : مشروع تكامل ١٨٢
هل الشفاعة دوائر متداخلة ؟. ١٨٥
لسان الصدق . ١٨٧
عطاء آخر في عالم الآخرة ١٨٩
... وماذا عن سند الزيارة؟ . ١٩٤
إشارة عابرة للجانب السندي. ١٩٤
فلسفة الأدعية والزيارات . ١٩٨

ثبتني اللهم على محبتها ٢٠٣
الزيارة رمز ولاء وينبوع عطاء ٢٠٥

الفصل السادس :
بعد رحيل الإمام العسكري عليه السلام ٢٠٧

إرهاب بعد وفاة الإمام عليه السلام . ٢٠٩
خطة ذكية وشجاعة كبيرة ٢١١
إلقاء القبض على السيدة نرجس عليها السلام . ٢١٣
مقارنة مقتضبة ٢١٥
في نهاية المطاف ٢١٧

وختاماً ٢١٩
الفهرس . ٢٢٠